الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

جدلية الموت والحياة في شعر "سميح القاسم"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالب (ة) :
إيمان حمود

إشراف الدكتورة :
نزيهة زاغز

السنة الجامعية: 1436هـ/1437هـ

2015م/ 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

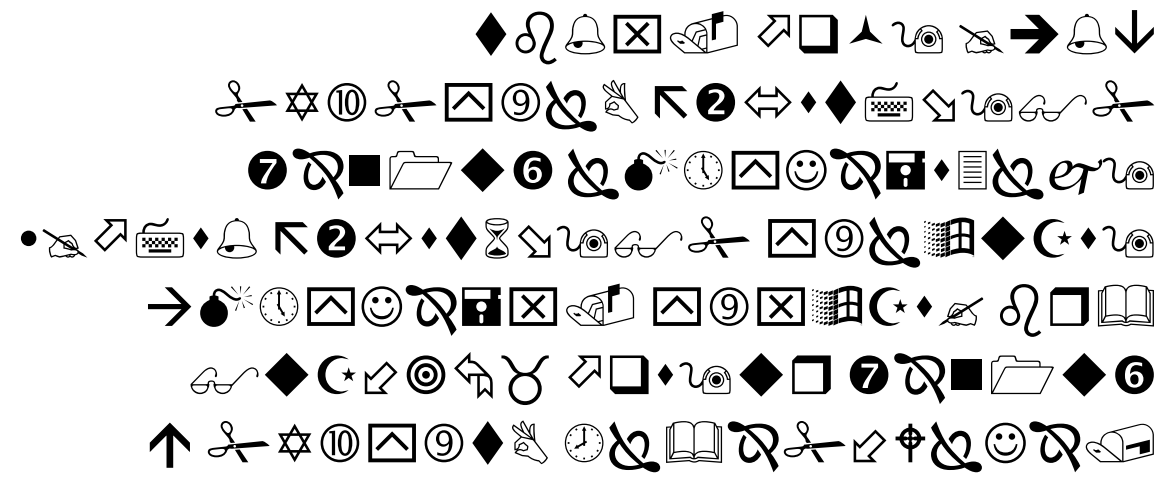

مقدمة

المطلع على تاريخ الإنسانية ، يرى أن الإنسان و منذ الأزل سعى إلى البحث عن الحقيقة حقيقة الإله و سر الخلود و سر الموت ، الذي شكل حاجزًا ، أمام أحلامه وطموحاته في الحياة ، بحيث أصبح التفكير بالموت سمة من سمات النزعة الرومانسية العربية ، التي اهتمت منذ ظهورها بالذات الحزينة ، ليستمر هذا الاتجاه .

أحاول في دراستي المعنونة بجدلية الموت و الحياة في شعر سميح القاسم ، تسليط الضوء على موقف الشاعر سميح القاسم من فلسفة الموت ، الذي تعدد بأشكال و صور متنوعة في نصوصه الشعرية ، كموت الأهل و الأقارب ، و الأحبة و الأصدقاء ... موت الأبطال و الشهداء و غيرها من صور الموت .

تبدو رؤية الموت عند الشاعر سميح القاسم ، رؤية عميقة ذات نظرة بعيدة ، بحيث تتشكل الأشياء حسب انعكاساتها في عقله و قلبه ، ليصبح الموت بالنسبة له معايشة الحياة لأن هناك قائما حاضرًا يوميا ، هو فعل الشهادة ، والذي ألفه الفلسطينيون . من الموت تتولد الحياة ، ليحقق النصر و ليصبح غياب الشهداء موتا للموت و موتا للحياة ، ليمجد الموت بكونه عرسًا للشهيد ، وطريقًا لاسترجاع الوطن و طرد العدو ، لتحقيق الذات الفلسطينية على أرضها .

حظي شعر سميح القاسم باهتمام عدد كبير من الباحثين ، و الدارسين منذ ظهوره و إلى يومنا هذا ، فشعره غزير و مكنز سواء في مضمونه أو شكله ، بحيث تناول فيه موضوعات عديدة و لعل أهمها قضية الموت و الحياة ، و هذا ما تكرر في أعماله الشعرية بصورة لفتت انتباه الدارسين ، تضمن شعر سميح القاسم رؤية جديدة تجسد نظرته لثنائية الوجود الإنساني بمعنى عام و المصير الفلسطيني بمعنى خاص .

لقد وقع اختياري على الموضوع بسبب المكانة الأدبية المرموقة للشاعر ، مما جعلني أسعى بشغف إلى دخول عالم سميح القاسم و الكشف عن مكنوناته وفق ما تقتضيه و ما تتطلبه الدراسة النصية من هذا البحث ، والسبب الثاني هو غموض ظاهرة الموت في الدراسات الفلسفية و الأدبية بصفة عامة ، وطريقة معالجته لهذه الظاهرة في شعره بصفة خاصة ، هذا لأن سميح القاسم من القلائل الذين شاهدوا الموت بأكثر من وجه ، و أكثر من صورة ، فهو منذ نعومة أظافره ، و هو يشاهد الموت و يكتب عنه إلى أن أبدع في دواوينه .

لقد أثارت هذه الدوافع مجموعة من الإشكاليات الآتية و تكمن الإشكالية الرئيسية للبحث في ، أين يكمن الجدل القائم بين الحياة و الموت ؟ إلى أي مدى تجسد هذا الجدل في شعر سميح القاسم ؟ هل سميح أوفى حق الفلسطينيين في إيصال معاناتهم من خلال الجدلية ؟.

و للإجابة عن هذه الإشكاليات ، اعتمدت على خطة بحث تتماشى ومتطلبات الدراسة والتي افتتحتها بمقدمة يليها مدخل الذي يندرج تحت عنوان المسار الفلسفي للموت ، حيث قمت بتتبع مراحل الموت عبر العصور من العصر البدائي إلى العصر الحديث و المعاصر .

أما الفصل الأول تحت عنوان جماليات الموت في شعر سميح القاسم الذي خصصته لدراسة الموت من منظورين ، اندرج تحته مطلبان ، الأول : الموت من المنظور الجماعي و جاء فيه فلسطين و الموت ، و الموت الاسمى (الاستشهاد) ، أما المطلب الثاني : فهو بعنوان الموت من المنظور الذاتي ، و جاء فيه معجم الموت و التناص .

و الفصل الثاني تحت عنوان الرؤيا الشعرية لجدلية الموت و الحياة ، و تضمن مطلبين الأول : الرؤيا الشعرية للموت و اندرج تحته جدلية الوجود و العدم ، و جدلية الاغتراب و الموت ، أما المطلب الثاني : جاء بعنوان الرؤيا الشعرية للحياة ، و اندرج تحته جدلية الحلم و

الواقع ، و جدلية الكتابة و الحياة . بالإضافة إلى ملحق حول حياة سميح القاسم ، أما الخاتمة كانت حصيلة لأبرز ما توصلت إليه من خلال هذه الدراسة .

واعتمدت في دراستي المنهج التاريخي الاستقرائي ، باعتباره المنهج الأنسب لهذه الدراسة والمدونة المشتغل عليها، وفي هذا السياق لابد لي من ذكر أبرز المراجع و المصادر التي اعتمدت عليها في بحثي هذا ، **ديوان سميح القاسم** ، **جماليات الموت في شعر محمود درويش** لـ : عبد السلام المساوي ، **تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر** لـ : عبد الناصر هلال ، **سيميائية الموت (تأويل الرؤيا الشعرية قراءة في تجربة محمد القيسي)** لـ : محمد صابر عبيد ، **الحب و الحرب و الحضارة و الموت** لـ : سيجموند فرويد ترجمة عبد المنعم الخفي . وغيرها من الكتب التي تضمنتها مكتبة بحثي هذا .

وفي مسيرة بحثي هذا واجهتني بعض الصعوبات ، فهذا حال طالب العلم فالطريق ليس سهلا أبدا ، ولابد من مواجهة العثرات ، والصبر على العقبات ومن الصعوبات التي واجهتني اتساع موضوع الموت خاصة عند الفلاسفة و الشعراء الجاهليين ، إذ صعب عليّ الأمر التوفيق بينهما ، وطرحه بصورة حديثة ، وكثرة المراجع و اختلاف وجهات النظر في التطرق للموضوع .

لا يسعني في الختام إلا أن احمد الله الذي ألهمني الصبر والإرادة كما أتقدم بعظيم الشكر وخالص الامتنان وعميق التقدير لأستاذتي الموقرة " **زاغز نزيهة** " والتي كانت رحبة الصدر معي والتي لم تبخل عليّ بنصائحها وإرشاداتها و ملاحظاتها وتوجيهاتها .

مدخل

لعل الوجود الإنساني في هذه الحياة مرتبط بمشاكل وقضايا عديدة اعترضت وجوده البشري بحيث أنه راعى الواقع المحتوم عليه ليكون قوة عظيمة ، ذلك بفك اللغز عن طريقة إيجاد الحل.

إذ تعد أهم قضية شغلت فكر الإنسان منذ القدم حل لغز الصراع القائم بين الخير و الشر بين الباطل و الحق إذ تبين ذلك واضحا . في قوله عز و جل بعد أن خرج سيدنا آدم من الجنة في كتابه الكريم :□خخخ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ □ .[1]

إذ يعد سبب خروج آدم و حواء من الجنة بقول من الشيطان الذي وسوس لهما للأكل من الشجرة التي حذرهما الله تعالى من الاقتراب منها " **فكان من اثر هذا العصيان ، أن انزلهما غز و جل إلى الأرض، حيث التكاليف المادية ، والحاجات الجسدية ، وحيث المنازعات و المخاصمات وكل ما تقتضيه الحياة الطينية من المنغصات و الكروب** " [2].

حيث كانت نتيجة هذا العصيان النزول إلى الحياة الدنيا و ما تحتويه من شقاء و عناء و صراعات و مناوشات ....

إذ تعد جوهر المنازعات في الوجود ليتبقى الصراع الأزلي الدائم هو الصراع بين الخير و الشر و هذا ما تجسده لنا قصة قابيل و هابيل في القرآن قال تعالى : □ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە □ .[3]

توضح لنا الآيات الكريمة ذلك الصراع القائم بين الخير و الشر و الذي سيبقى أزلي دائم الذي بدوره يجسد لنا الطبيعة البشرية و ما تحتويه من تناقضات .

---

[1] سورة البقرة ، الآية : 35 / 38 .

[2] محمد فريد وجدي ، المصحف المفسر ، ج1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، دط ، الجزائر ، 1990 ، ص 8 .

[3] سورة المائدة ، الآية :27 / 30 .

لم يعد الخير و الشر الصراع الوحيد في هذه الحياة بل هناك ما هو أعمق منه ألا و هو الجدل القائم بين ثنائية الموت و الحياة ؟

فقد اعتبر الموت كدافع للتفكير أو نقطة بداية لأي تفكير فلسفي على الإطلاق ، بحيث أنه شيء طبيعي لا يمكن إنكاره و لا سبيل للإفلات منه ، كما أنه جواز سفر إلى حياة أخرى .

فكرة الموت عند الإنسان البدائي هي الروح و الخلود و الشعور بالذنب إذْ جاء في قول سيجموند فرويد : Segmound Freud " **كان للإنسان البدائي موقف ملفت من الموت فهو مرفق تميز بالتناقض لم يكن فيه أي أدنى اتساق ، فلم يكن الإنسان البدائي من ناحية ينظر إلى الموت نظرة جدية كان يسلم بأنه نهاية الحياة و يتعامل معه بهذه الصفة و من ناحية أخرى كان ينكر الموت و يسقطه من حسابه و يرجع هذا التناقض أساسا إلى التضارب في مواقفه من موت الآخرين**".[1]

إذ إن الإنسان البدائي لم يستبعد فكرة الموت في نفسه و يرفض الاعتراف بها و تقبلها بشكل كامل و هذا ما يؤدي به إلى الاعتراف بأن الموت هي نهاية الحياة " **تعودنا على فكرة الموت يأتي فجأة بالصدفة فطريقة التفكير هذه المحالة عن محاولتنا التعديل من معنى الموت بدل من النظر إليه كضرورة اعتبرناه حادثا و عرضا** " [2].

و هذا يبين لنا إحساسنا بالغربة في هذه الدنيا من اضطراب الذي تبلور في نظر الموت .

ربما قد نتصرف كما لو إن الأمر مخالف لذلك من خلال استبعادنا لفكرة الموت ووضعناه على الدرج و أسكتناه نهائيا ، ليصبح بعد ذلك محاولة التفكير في أشياء أخرى ، تصرفنا التفكير عن الموت و تغنينا عنه كل الغناء .

لقد كان التفكير البدائي السائد أنه ولد خالدا ، بينما حلت عليه الموت بالعالم نتيجة الخطأ الذي ارتكبه آدم عليه السلام ، الذي بدوره يحمل هبة الإنعتاق من النار .

[1] سيجموند فرويد ، الحب و الحرب و الحضارة و الموت ، ت : عبد المنعم الخفي ، دار الرشاد ، د ط ، القاهرة ، مصر ، دت ، ص 31 .
[2] المرجع نفسه ، ص 29 .

ليظل الإنسان بعد ذلك رافضا فكرة الموت و ذلك عن طريق تحدى الواقع في بحثه عن الخلود الأبدي .

فقد نجد أن أول صراع للإنسان مع الموت كان في الحضارة المصرية القديمة عند الفراعنة يتحدى فكرة الموت و الفناء و هذا ما يبين لنا التوغل في فن التحنيط و فن بناء الأهرامات عند المصريين القدامى في بحثهم عن الخلود الأبدي .

كما نجد الفكر اليوناني الفلسفي الذي بدوره ،لم يقتنع بفكرة الموت ليقيم الجدل بين الموت و الحياة .

يتجسد لنا الانعكاس الفلسفي للفكرة ، و يحيلنا بعد ذلك إلى نفي الواقع المتصادم مع الموت هذا ما يحلل لنا الإنسان الكامل .

قد يطبق الشاعر فلسفته على الطبيعة متخذا منها معادلة فلسفية تنطبق و واقعه الوجودي و ليبحث بعد ذلك عن حل لسبب وجوده فيها و الغاية منها باعتباره الطرف الواقعي و يضع الحل محل السؤال لتخلص من فكرة الموت ، و ليعتبر بعد ذلك ـ الشاعر ـ جزء من معادلته الفلسفية التي أساسها جدلية الموت و الحياة التي تعد الجزء المأساوي في حياته ، كان لابد له أن يسعى إلى طرح التساؤلات الحتمية لسبب الوجود الإنساني .

و هذا ما يتجسد لنا في الملحمة السومرية و يتضح بصورة جلية في ملحمة جلجامش و الذي ركزت على فكرة الخلود في تحديدها لفكرة الموت ذلك بالصراع الدائم مع الموت ليبقى بدوره الرابح دائما .

" أجل شغلت الملحمة بفكرة أو موضوع أساسي هو الرهان بأسلوب مؤثر على حتمية الموت على البشر حتى بالنسبة إلى بطل مثل جلجامش الذي كان ثلثاه من مادة الآلهة الخالدة

و ثلثه الباقي من مادة البشر الفانية ، لان الآلهة ، كما جاء قد استأثرت بالحياة و قدرت الموت من نصيب البشرية " [1].

فملحمة جلجامش تبين لنا فكرة تحدي الإنسان لطبيعة الموت ذلك عن طريق البحث عن الخلود .

" الواقع إن ظاهرة الموت المتكررة المعادة رغم كونها من البديهيات لدى العقل الواعي و التفكير المنطقي إلا أنها مازالت لغزا محيرا لعاطفة الفرد و أحاسيسه و رغباته وغرائزه الحياتية وهي موضع حيرة أليمة في قرارة كل نفس بشرية و تزداد عمقا وألما كلما شرف الإنسان على أبواب الشيخوخة . إنها تتمثل على هيئة صراع بين إرادة الإنسان بتشبثها بالحياة وبين تلك الحقيقة البديهية بالنسبة للعقل والمنطق . وفوق هذا فإن الملحمة تسمو على مجرد البرهنة على حتمية الموت ، فهي تتناول مسألة أخلاقية كبرى ، شغلت تفكير الإنسان منذ قدم الزمان فإذا كان الموت محتما ، وإذا تعذر على الإنسان نوال الحياة الخالدة سواء كانت بالتغلب على الموت أو بوجود حياة أخرى بعد الموت " [2].

الإنسان منذ وجوده حاول الصراع مع الموت و التغلب عليه و ذلك من خلال حل اللغز الذي بات هاجسًا يسكنه دائما ، فحاول بكل ما لديه لفك سر اللغز .

إذ أن الأسطورة مرتبطة بالخيال فقد سعى جلجامش بعد فقدان صديقه أنكيدو إلى تحدي الموت

" في ملحمة جلجامش يشغل الموت و الرغبة في التغلب عليه بالخلود ، بطل الملحمة جلجامش حينما تنبه على نهاية الحتمية بعد أن اختطف الموت صديقه أنكيدو " [3]

من أجل أنكيدو ، خله صديقه .

---

[1] طه باقر ، ملحمة كلكامش و قصص أخرى عن كلكامش و الطوفان ، دار المدى ، دمشق ، سوريا ، 2008 ، ص 42 .

[2] المرجع السابق ، ص 42 ـ 43 .

[3] خالد الجبرا ، رزان ابراهيم ، شعرية الفقد (جدل الحياة و الموت في شعر الخنساء) ، دار جرير ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، 2012 ، ص 31.

بكى جلجامش بكاء مرا .

وهام على وجهه في الصحاري (وصار يناجي نفسه) :

إذا ما مت أفلا يكون مصيري مثل أنكيدو .

لقل الحزن و الأسى بجسمي .

خفت من الموت ، وها أنا أهيم في البوادي [1].

فالملحمة هنا إن دلت على شيء فهي تدل على بحث الإنسان عن الإنسان عن وجوده ومصيره .

إذ دار حوار بين سيدروي و جلجامش فيه تخضع سيدروي لحتمية الموت بطريقة مغايرة تحمل نوعًا من القلق والحيرة . قالت سيدروي :

إلى أين تسعى ياجلجامش

إن الحياة التي تبغي لن تجد

حينما خلقت الآلهة العظام بشر

قدرت الموت على البشرية

واستأثرت هي الحياة

أما أنت ياجلجامش فليكن كرشك مليئا على الدوام

وكن فرحا مبتهجا نهار مساء

و أقم الأفراح كل يوم من أيامك

[1] طه باقر ، ملحمة كلكامش و قصص أخرى عن كلكامش و الطوفان ، ص 133 .

وأرقص والعب مساء نهار

واجعل ثيابك نظيفة زاهية

وأغسل رأسك واستحم في الماء

ودلل الصغير الذي يمسك بيدك

وافرح الزوجة التي بين أحضانك

وهذا هو نصيب البشرية .[1]

قد وجد الإنسان نفسه أمام صراع مع الموت المحتوم ذلك من خلال قدراته العقلية واللاشعورية الخارقة في مواجهة كل الظروف ، والتبشير بالخلود الأبدي على الرغم من حتمية الفناء .

" تجسد حكمة سيدورى رؤية عميقة وبسيطة في آن واحد لطريقة مواجهة الموت عن طريق الامتلاء بالحياة ؟ فإذا كانت الموت قدرا محتوما ولا حياة بعده ، يغدو الامتلاء بالحياة الوسيلة الوحيدة للقهر و التغلب على الحتمية ، فالحياة حتمية أيضا " [2].

لقد وضحت الأسطورة مبدأً أساسيًا للأدباء والشعراء على مر الزمن لتتجسد في أدب العصور الماضية ذلك تبعا لطبيعة الشعراء وثقافاتهم .

إذ لا تعتبر أساطير الموت حكراً على أمة دون أخرى ، فهي في ثقافة جميع الأمم و اطلع عليها كل الأدباء والشعراء وكانت حاضرة في أغلبية شعرهم .

وبهذا يعد الموت الأسطوري قد راهن على تحدي الموت وذلك بالصراع المستمر لتجديد الحياة و لانتزاع الخلود الأبدي و الفناء المحتوم .

---

[1] المرجع السابق ، ص 142 .

[2] خالد الجبرا ، رزان ابراهيم ، شعرية الفقد (جدل الحياة و الموت في شعر الخنساء) ، ص 32 .

إذ أن الموت عند الفلاسفة المسلمين يرونه البقاء الأبدي الذي لا يتيسر إلا بعد حصول الموت ، فالموت هو السبب في الحياة الأبدية ، و ما الحياة الدنيا إلا سبب للموت في الواقع .

" إذ يبين الإسلام أن الموت قانون أزلي ينطبق على جميع الكائنات الحية دون استثناء ... و الموت غير مرتبط بزمان و لا مكان ، فالانسان لا يدري متى يموت ولا أين و لا كيف يموت ."[1] ومن ذلك قوله تعالى :□ ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد ى ىي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [2]

فالإنسان إذ لم يخلق في هذا العالم ، فلا يمكن له الموت بذلك وجّد لتكون حياته سببًا لموته و موته سبب لحياته الأبدية . حينئذ يصبح الموت عند الفرد المسلم ممر يمر من خلاله إلى عالم الخلد و النعيم الأبدي ، وما الحياة الدنيا إلا دار فيها نمتحن و نبتلى و العاقبة للتقوى ." **مما لا شك فيه إن تعاليم الإسلام الحنيف تضمنت الحل النهائي لمعضلة الفناء الإنساني بالحديث عن الموت بوصفه حدثا مرحليا معزولا تماما عن بقية جوانب الوجود الإنساني العديدة بل على أنه جزئية محدودة أو حلقة سلسلة مشدودة إلى ما قبلها و ما بعدها بأواصر و وشائج لا تنفصم** " [3]. ولا يمكننا المرور دون الحديث عن موقف الفلسفة من فكرة الموت .

" لقد شغلت مشكلة الحياة والموت جانبا غير قليل من تفكير الفلاسفة والمفكرين فظهرت تأملات ميتافيزيقية و آراء فلسفية و اجتهادات فكرية شتى عبر التاريخ الفكري الطويل للبشرية تسعى إلى الوصول من خلال التأمل العقلاني للموت: إلى التصالح معه (الموت) إن

[1] حنان احمد خليل الجمل ، الموت في الشعر العباسي ، د : إبراهيم الخواجة ، قسم اللغة العربية ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين 2003 ، ص 5 .

[2] سورة لقمان ، الاية : 34 .

[3] احمد فلاق عروات ، فكرة الموت في التراث العربي ، دار هومة ، دط ، الجزائر ، 2005 ، ص 145 .

باعتباره عدما نهائيا ، أو بحسبانه خلودا غير شخصي ، أو بوابة لحياة أزلية بعد مرحلة اختبار عابرة في الحياة الدنيا " [1] .

تعتبر الفلسفة أن التعريفات المتنوعة و العديدة للموت هي تعريفات ثقافية لا يمكننا التعرف عليها إلا من خلال الثقافة الخيالية التي توضح بدورها مصير الإنسان المهدد بالموت آجلا أم عاجلا

حيث أنها قامت على فكرة صراع الموت للاستمرار في الحياة ، إذ أنها تمرن الفكر على التحدي واعتمادها على فن التهيؤ للموت بشجاعة .

حاولت كثيرا الانتصار على الموت بالتأكيد على الخلود في العالم الآخر ، عن طريق تأكيد الموت على أنها مفهوم انثربولوجي و ذلك من خلال الجسد و علاقته بالروح .

فالفلسفة المعاصرة تابعت أسئلتها و ذلك بطريقة مغايرة ، باعتمادها على ما جاءت به الفلسفات قديما . **ولذا فالموت مصدرٌ هامٌ للفلسفة و قوة دفع كامنة وراء التفلسف الذي يهدف بالأساس إلى التحكم في هذا الموجود و التصالح مع حتمية و تجاوز الرهبة التي يشكلها "** [2] .

نجد أغلب الباحثين قد ركزوا على الموت كفعل ثقافي أكثر من كونه فعل طبيعي .و تتجسد حضور آباء الفلسفة في هذا الجانب بصورة بارزة جدا .

و أبرزهم سقراط كان له دور هام في الموت كما يمثل محورا أساسيا في فلسفته إذ تعد من الموضوعات المثيرة في فلسفته . باعتبار أن عنده يقين بوجود حياة أخرى بعد الموت و هي حياة

[1] حياة هروال ، دلائيلية الموت في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر فترة التحولات 1988 ـ 2000 ، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي القديم ، جميلة قيسمون ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2008 ـ 2009 ، ص 22 .

[2] المرجع السابق ، ص 22 .

الخلد الخالية من المتاعب و الصعاب و ما تتمتع به النفس من هدوء و سكينة فبالنسبة له لا يمثل لديه أي مشكلة .

" إن الإنسان مخلوق متناه و عابر ، لكن عظمته تتمثل في تقبله لوضعه الإنساني بحس بالمسؤولية و بقوة عارمة للشخصية في مواجهة الموت . إن ذلك هو بصورة جوهرية موقف سقراط كذلك بعد أن أصدر القضاة حكمهم عليه بالموت أشار موضحا لهم أنه كان بوسعه تجنب الموت باستخدام فطنته ، لكنه اختار ألا يفعل ذلك "[1] .

يعد الموت عند سقراط محورا هاما و أساسيا و هذا يتجسد لنا في كتبه ، إذ يرى الموت على أنه انفصال الروح عن الجسد يعني هذا أن يظل الجسد دون الروح و بذلك تكون مستقلة عن الجسد و قائمة لوحدها . من خلال هذا حاول سقراط تفسير الموت تفسيرا عقليا .

" لكن حتى إذا كان سقراط نفسه لم يؤمن حقا بالخلود الذي سيتيح له التواصل مع رجال الماضي من الحكماء و العظماء فإنه يبدو في محاوره الدفاع العميق في تدينه " [2] .

فهو يرى هنا أن الموت قد يكون على إحدى الحالتين إما أن يكون لا شيء ليس له إحساس و هذا ما يكون عادة في حالة النوم و إما أن الروح تهجر هذا المكان إلى مكان أخرى و هذا ما يراه بأنه هجرة النفس من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة . فهو هنا يؤكد على حقيقة خلود الروح بعد الموت .

لدى سقراط يقين أن هناك حياة أخرى بعد الموت وهي حياة الخلد و الصفاء ، التي لا يوجد بها هموم و متاعب و لا صعاب كما هو في حياة الدنيا ، إذ أن النفس في الحياة الأخرى تتسم بالهدوء و السكينة .

[1] جاك شورون ، الموت في الفكر الغربي ، ت: كامل يوسف حسين ، عالم المعرفة ، دط ، 1984 ، ص 48 .
[2] المرجع نفسه ، ص 50 .

كما نجد كذلك أفلاطون الذي كان له رأي فيما يخص الموت إذ يرى فيها الممر الذي نمر من خلاله من حياة الجسد إلى حياة الروح ، و بهذا فهو يفتح باب الحياة الأبدية التي ليس بعدها حياة . " **تأكيد خلود النفس يعني أنها حينما يهاجمها الموت لا يمكن أن تفنى . و قد أدرك أفلاطون الشكوك التي ساورت أذهان المثقفين من معاصريه** " [1] .

يرى أن خلود النفس يأتي ابتداء من الحياة الروحية الحقيقية حياة النفس عن طريق عالم الصور أو تأمل الصور .

إذ أنه يفتح باب الأبدية فمن ينظر إلى الموت بهذه النظرة لا يمكن أن تكون الموت بالنسبة له مشكلة . و قد اعتمد على حجج تؤكد فكرته لخلود النفس و هي " **أن النفس توجد بل الميلاد ... هناك صور و مثل خالدة و ثابتة و حيث أن النفس كفيلة بإدراكها ... النفس تتحكم في الجسد و تسيطر عليه ... النفس بسيطة ، فهي ليست مركبة ... النفس التي جوهرها الحياة و بالتالي فهي نقيض الموت ذاته** " [2] .

فهو يسمح للنفس بأن تتحرر من سجنها الجسدي ، و أن تتعرف إلى مصيرها المحتوم .

إذ تعتبر الموت تحرر النفس من أغلال سجن الجسم ، فبدوره يؤمن بالمثل العليا و خلود النفس و فهم الفلسفة عنده يؤدي إلى فهم الحياة . فمن خلال كل هذا ، فالفلسفة إذا عند سقراط و أفلاطون ، تحاول الانتصار على الموت و التأكيد على الخلود في العالم الأخر ، و ذلك بالاستمرارية و لا نهاية في الوجود بتحدي الموت و إعاقته .

بعد أن استيقظ الشاعر العربي عن واقع مزري أليم مجروح جراء الحروب مست الوطن العربي و التي بدورها شكلت نقطة تحول لدى الشاعر و ذلك من خلال شعره .

[1] المرجع نفسه ، ص 54 .

[2] المرجع السابق ، ص 54 .

" فقد نبهت الشجون المرتبطة بالهزيمة و الموت ، سيلا من المشاعر ، الجياشة التي صبها المبدع في شكل فني مثير ، فإذا كان الشعر موسيقى تسبر أغوار النفس البشرية فليس كالموت ما هو أقرب إلى هذا النغم الحزين و الحزن المنغم ، فظهرت القصيدة المعاصرة بشكل جديد ، و اهتمامات جديدة ، و صوت مسكون بالفجيعة ، و الموت الذي يعيشه الشاعر ، بل و يموت قبله و ينبعث عبره من جديد ، فينتصب مقاوما ، وهو في مقاومته للموت يفقده معناه الحاسم ، فيدخل معه فيما يشبه التحدي السيزيفي القائم على تجاوز الخطر " [1] .

هذا ما يجعل من الشعر عدم إسلامه من فكرة الموت حيث أن كانت له مسلمات فكرية و تأملات ذهنية اعتمدها الشعراء كحد للتعبير عن الواقع الوجودي و بناء الحياة و فنائها .

" فانبثقت بذلك تجربة جديدة و سمت النص الشعري العربي المعاصر ، هي تجربة الموت بكل حمولاتها ، و بكل ما يكتنزه هذا اللفظ من مدلولات ، حيث تعتبر موضوعه الموت مرآءة ينعكس عليها الواقع العربي المهين ، و يتجلى ذلك في صورتين :

أولها : صورة الموت الحقيقي الذي سلطه الاحتلال من جهة و الأنظمة الطاغية من جهة أخرى على الأمة .

أما الثانية : فموت معنوي ولّده ذلك الشعور بالسقوط و الانكسار ، و في زمن كهذا هب الشاعر إلى شحن نصه بدلالات ، و معان كانت . و لوقت ليس بعيد ، غائبة أو مغيبة عن ذهن الشاعر " [2].

فالشاعر هنا حاول أن يعطي معنى صحيحًا للموت المحتم ، من حيث الموت فرض بالقوة و من حيث أنه هاجس يسكن الفرد بشعوره بالاهزام .

[1] حياة هروال ، دلائلية الموت في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر فترة التحولات 1988 ـ 2000 ، ص 26 .
[2] المرجع نفسه ، ص 26 .

" لقد غدت النظرة إلى الموت أكثر فلسفة و عمقا ، فغابت النظرة التقليدية له ، و عوضت بنظرة مغرقة في التصوف و التأمل ، طمعتها تلك الرغبة الملحة في تجاوز الواقع بالسفر عبر الحلم و مواجهة الفناء ، و تنبثق هذه الرؤية المغايرة إلى الموت في الشعر [....] إحساس الشاعر بالضياع ، و رغبته في ركوب الخطر , و مواجهة الموت بذكره ، و الإقامة على حدوده ، و اقتحام ممنوع التسمية الذي تمليه لغة الاستسلام "[1] .

فهو هنا تناول موضوع الموت الذي أصبح ينظر إليه بطريقة مغايرة ، فيها نوع من الفلسفة و ثبات على غرار ما كانت عليه سابق لتحل بعد ذلك محلها أفكار و آراء رافضة الواقع و الباحثة بدورها عن من وراءه ، و ذلك بالحلم للهروب من الموت المحتم .

تعد نظرة الهروب من الواقع و السفر إلى عالم آخر بعيد عن الموت نظرة لاقت الكثير من الأهمية في شعرنا العربي ، و خاصة عند شعرائنا ، إذ يتضح ذلك في إبداعاتهم الشعرية ، إذ يبين لنا الشاعر عن حلمه في مواجهة الموت عن طريق شعره و ما يحتويه من أغراض .

" و الذي استطاع أن ينقلوه من مدلوله المادي المجرد ، إلى مدلولات أكثر خصوبة فيجاور الشاعر الموت ، بل و يناجيه و في أحيان أخرى يطلبه و يتمناه ، حتى أنّه قد يحسد الموتى في موتهم ، أو قد يرسم جنازته ، و قد تبعه جمع غفير ، في سابقة لم يحظ بها في حياته ، و هو الميت الحي ، و المهمش الذي لا يرفع له شأن " [2] .

تعتبر نظرة الشعراء إلى الواقع و ما يتضمنه من حالات ، تدفع بنا إلى المعاناة و الألم ، و بضرورة التلازم بين المعاناة و الألم في حياتنا يدفع بالشاعر إلى تحدى الموت بالحديث عنه و إبرازه بصورة واضحة لعل ذلك يخفف من معاناته و ألمه .

[1] حياة هروال ، دلائلية الموت في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر فترة التحولات 1988 ـ 2000 ، ص 26 ـ 27 .
[2] المرجع نفسه ، ص 27 .

فنجد الشاعر الجاهلي الذي كان له اثر في مواجهة حتمية الموت كغيره من الأمم التي سبقته ليصل بعد ذلك إلى إدراك الحياة بمحدودية أيامها ذلك بالاهتمام بفكرة الموت عند الشاعر

" لقد انتشرت في المجتمع العربي الجاهلي كثير من العقائد المماثلة لعقائد المجتمع الذي تصفه الملحمة ، مثل تعدد الآلهة و حتمية الفناء الذي لا حياة بعده . كان فقد الأحبة و الأقارب لاسيما الإخوة و الأبناء "[1] .

لم يخلُ المجتمع العربي الجاهلي من العقائد التي تضمنتها الملاحم من شخصيات آلهة و سعيها وراء الخلود ذلك بتحدي الموت و الفناء الذي يعد انتهاء الحياة و انقطاعها عن الواقع التي كانت تعيشه لترحل بعد ذلك إلى حياة الخلد و الصفاء إلى حياة أخرى غير الحياة التي نعيشها اليوم أي الحياة الدنيا ، الحياة الزائفة .

" يرمز الشاعر الجاهلي إلى الموت بالعديد من الأشياء ، كالميتة ، القبر ، الخوف ، الأرق الدهر ... كما انه يعبر عن ذلك بالوقوف على الأطلال كغرض من انعدام الحياة بعد فراق المحبوبة و نهاية الحياة ، و أنه لا يوجد له مكان بعد الفراق .

إذ أعطى الشاعر العربي قضية الموت مفهومًا واسعا ، و استنبط أسرار و معالم و مكونات هذا الكاشف عن ذلك صورا متنوعة دالة على تجارب و التفكير المستمر حول هذا " [2].

إذ تطرق الشاعر الجاهلي للموت بحديثه عنها إلى الكثير من الأغراض من رثاء و بكاء الديار و العديد من الأفكار حول الموت و الخلود باعتبار انه كان مدركا لحقيقة الموت و إن لا مفر و لا مهرب منها و على يقين بأن الموت لا بد من أن تطل الجميع و لا يمكن لأحد أن ينجو منها أو يظفر بنبتة الخلود .

[1] خالد الجبرا ، رزان ابراهيم ، شعرية الفقد (لجدل الحياة و الموت في شعر الخنساء) ، ص 32 .

[2] علي يوسف فرح مدخلي ، ذكر الحياة و الموت في شعر طرفة بن العبد ، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي ، عصام فاروق إمام ، جامعة المدينة العالمية ، ماليزيا ، 2012 ، ص 17 .

" و قد ينظر الشاعر إلى فراق أحبته أو تغير عهودهم على أنه من ألوان الفناء و التحول الذي لا يبقى عليه شئ ، و هو حينئذ قريب من معاني الرثاء و من مظاهر هذا القرب أن يرد النوى أو تحول الحبيب إلى الدهر و الأيام" [1] .

فالشاعر هنا يرى في فراق من يحب نوع من الخلود الذي يطال الناس عامة و اندثار كل ما تبقى منه ، فهو بدوره يرثي أحبته الذي غادروا إلى الحياة الأبدية و ما عليه إلا الاستحضار ، استحضار ماضي أحبته و ما كانوا عليه .

إذ يعبر عن ذلك في شعره و يقوم برثائهم لتصوير خزنه و لمحاولة أن يواسي نفسه ذلك بان الكل بشر و الكل فان و كلهم مكتوب عليهم المصير بالموت .

يعد هذا نوع من الشعر نجد الشاعر واقفا موقف المتقبل لمصيره المحتوم و يعبر عن ذلك من خلال شعره باعتباره قائما على الإحساس و صدق المشاعر عكس التفكير المجرد العقلي .

" اعتبر الشعراء الجاهليون الموت مظهر طبيعيا و هو فناء الجسد و النفس و كذلك الموت يرصد الإنسان دوما ، و هو قريب منه ، أينما كان ، و لا يعلم أحد متى يحين أجله "[2] .

ذلك يتقبل فكرة الفناء ، أي الموت المحتوم على كل شخص ، و اعتبروه أمرا طبيعيًا مفروغًا منه باعتبار أقرب إلى الإنسان ، و يأتي على غفلة من أمره .

" إن نظرة الجاهلي إلي الموت نظرة تؤمن بحتمية الموت و أنه لا بد منه مهما تعددت معتقداتهم و هو الثابت الرئيسي في أشعارهم و هو الإيمان بالموت و الإنسان ، فالموت ملازم له في حل و ترحاله يلاحقه مهما طال عمره"[3] .

[1] مصطفى عبد اللطيف جيا ووك ، الحياة و الموت في الشعر الجاهلي ، دار الصفاء ، ط1 ، عمان ، الاردن ، 2012 ، ص 153 .

[2] علي يوسف فرح مدخلي ، ذكر الحياة و الموت في شعر طرفة بن العبد ، ص 20 .

[3] المرجع نفسه ، ص 20 .

الاهتمام الذي طغى على تفكير الشاعر الجاهلي ، و شغل باله هو بطبيعة الحال الموت ،و المصير المحتوم الذي لابد منه فاخذ الشعر فنا ، لتعبير عن ما يختلج نفسه من تأملات ذهنية.

" اهتم الشعراء القدامى في العصر الجاهلي بالموت بوصفه ذئبا يفتك بالإنسان و يقض مضجعه ، و يأتي على حياته و جاءت قصائدهم وثائق تكشف لوعتهم ، و قلقهم و تأملهم لذواتهم و عالمهم الذي يعيشونه , فأصبحوا مسكونين بالصراع الوجودي الدائم "[1] .

فقد شبه الشعراء في العصر الجاهلي الموت بالذئب الذي لا يتخلى عن فريسته في الوقت المناسب و مع الميعاد ذلك بالقضاء على حياته ، و دليل ذلك كل ما كتبوه عن الموت ، إذ نجد اغلب الشعراء الجاهليون قد تطرقوا إلى فكرة الموت و ما تخلفه من حزن و رثاء .

نجد الشاعر العربي المعاصر لم يخلُ شعره من الحديث عن الموت بألفاظ مغايرة عما كانت عليه سابقا ، بمفهوم أخر . **" في العصر الحديث ازداد انشغال الشعراء بقضية المصير الإنساني حيث تعددت أدوات البطش و تفاقمت حدتها و أصبح الشاعر محاطا بالموت في كل معطيات الحياة بتنفسه أينما وجد فأصبح ظاهرة واضحة المعالم تطرحها الوثائق و النصوص التي تدعو إلى التأمل و الدراسة و التحليل " [2] .**

مر العصر الحديث بعدة مشاكل من بينها الحروب التي تعرضت لها الأمة العربية و التي خلفت أثرا سيئا في نفوس الشعراء و جعلتهم محاطين بالموت و مقتنعين بفكرة المصير المحتوم و الذي لا بد منه و بالتالي لا يمكن الهروب من الواقع .

[1] عبد الناصر هلال ، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر ، مركز الحضارة العربية ، ط 1 ، القاهرة ، مصر ، 2005 ، ص 11 .
[2] المرجع نفسه ، ص 11 .

" من خلال مطالعة القصائد في الشعر الحديث تبين أنّ الموت ينشر ظلاله في كل الأفاق والرؤى حتى خطاب الحب تشابه الشعراء إلى حد كبير في التصور و الرؤى و إن اختلفت التقنيات و الأدوات و المواقف " [1].

من خلال هذا نجد الشاعر العربي قد أعطى لفكرة الموت حيزا كبيرا من تفكيره و شعره باستنباط الأسرار و تحديد المعالم مقتنعا بحتمية الموت و لهذا يعد الموت سر من أسرار الحياة فيه ، و هذا ما جاء في قوله تعالى: □ ئى ئد ى ىيي □ □ □□ □ □ □ □ □ [2] .

[1] عبد الناصر هلال ، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر ، ص 11 .

[2] سورة الأنبياء ، الآية: 35 .

الفصل الأول : جماليات الموت في شعر سميح القاسم

المبحث الأول : الموت من المنظور الجماعي

المطلب الأول : فلسطين و الموت

المطلب الثاني : الموت الأسمى (الاستشهاد)

المبحث الثاني : الموت من المنظور الذاتي

المطلب الاول : معجم الموت .

المطلب الثاني : التناص .

يبدو من المستغرب مقاربة موضوع الموت في شعر سميح القاسم ، لكونه موضوعًا شكّل تقابلا فنيا مع الجدل القائم بين الموت و الحياة ، منذ بواكيره الشعرية ، ذلك برؤيته الشعرية ، و من خلال مساره الذي ابتدأت فيه الحياة الحقيقية .

ظل سميح يكافح الموت الصوت الذي يوصل كفاح و نضال الشعب الفلسطيني ، ذلك بمحاكاة الواقع الفلسطيني ، فكتاباته طغى عليها ضمير المتكلم المفرد ، كونه يمثل شعبه ، لإيصال معاناتهم .

المبحث الأول : الموت من المنظور الجماعي :

بما أن الموت شكل هاجسًا بالنسبة للإنسان من حيرة و دهشة منذ الأزل ، رغم سعيه المتواصل لم ينجح في التغلب عليه ، بالتالي استسلم له رغم خوفه منه ، فالشاعر العربي المعاصر قد نظر إليه نظرة مخالفة غير النظرة المعتادة و أدخله في متاهة و مزجه بين تعدد النزاعات و الفنون المغرقة في الألم ، إذ أن شعره بذلك امتزج بلون الحزن و الحيرة و الأسى ، إذ يعد تعبيرا عن معاناة شعب ظلم ، عن أرض سرقت ، عن أطفال و نساء و شيوخ شردوا عن انكسار الذات فهو يحاول البحث عن السبيل للخلاص و الهروب من مأساة الواقع و الذي يتمظهر في أغلب الأحيان الرغبة بالموت ، بعد الضمير و الحب و الإنسانية ، بالتالي قتل الكلمة و وأد الحلم السعيد .

إذ أن الموت الجماعي هو صورة للموت الحقيقي الذي سلطه الاحتلال من جهة و الأنظمة الطاغية من جهة أخرى للأمة و من هنا " **يمكن التبيين لنا بكل جلاء ما كان يبديه بعض الناس من تذمر و إحساس بالضجر من الحياة للفراغ الروحي الهائل كما يبدو و في حرية المخزن ،من خلال تصرفات أبناء المجتمع أحيانا كثيرة ، و علائقهم بعضهم بعض ، لقد كان الشاعر العربي من جانبه منغص الحياة لما يلمسه من شعور بالاغتراب طالما أن كثيرا من الناس**

انسلخوا تماما أو كادوا من هو يتهم الإنسانية بمعناها الأمثل السامي المعروف و من ثمة سبيل و أجري على الحياة الإنسانية " [1] .

هذا ما يتجسد لنا في أعماق الإنسان مما يشعر به من أسى و حزن ، خاصة مما عناه الشاعر العربي من شعور الاغتراب و الوحدة و العزلة الروحية .

الموت حيّر الإنسان منذ القديم ، إذ أن اللغز هو ما دفعه إلى التفكير في تحدي فكرة الموت و كيفية التخلص منه إذ أن هذه النقطة هي بداية التفكير الفلسفي للوجود .

أرهق الإنسان سابقا ذهنه في التفكير في لغز الموت و مواجهة ذلك لما نتج من موت الأحباب و مع ذلك لم يستسلم تماما و رفضه بشكل نهائي .

"فالإنسان لم يعد في استطاعته أن يستبعد الموت من تفكيره لأنه ذاق أساه في موت أحبائه لكنه مع ذلك لم يستسلم تماما أمامه ، و رفض أن يعترف به بشكل كامل ، لأنه ما يزال يتصور أنه هو نفسه مقدور عليه الموت ، و لذلك فقد تحايل على فكرة الموت و أقنع نفسه بموقف متوسط . فقط تقبل الموت كحقيقة ، و أقر بحقيقة موته هو نفسه ، لكنه رفض أن يعترف بأن الموت نهاية الحياة ، مع أنه كان ينبغي أن ينتهي إلى هذه النهاية لأن عدم الإقرار بأنه نهاية الحياة معناه أنه ليس نهاية الحياة لعدوه مثلما هو ليس نهاية الحياة له هو نفسه " [2].

حاولت حركة التاريخ الكشف عن خبايا الخطاب الشعري الذي بدوره رسم ملامح النزاع بين ما هو فردي و جماعي في الوجود الإنساني من خلال ما يظهر من إبعاد في ظل الصراع البشري ، الذي عاشر واقع فيه انهيارات و انعكاسات ، تخالف ما يطمح إليه الإنسان بحيث سلبه منه إرادته و ضاعت منه هويته و هذا ما يتجسد لنا إذ أن الموت في هذه الوجهة أداة يسلطها الطاغية على الشعب ، و تنعكس صورته في وجهين الأول : و هو الموت الظلم الذي يسلطه الطاغية على

[1] أحمد فلاق عروات ، فكرة الموت في التراث العربي ، دار هومة ، دط ، الجزائر ، 2005 ، ص 235 .
[2] ينظر : المرجع السابق ، ص 235 .

الشعب و يتقاطع كلا الوجهين ليرسمها صورة الثورة التي تحفز مجراها في جثث الضحايا ، إنها جدلية الموت و الحياة من خلال العملية الثورية التي يتزايد تعبيرها عن نفسها كلما تزايد الظلم و الاستغلال و القهر

بحيث إن الحروب دمرت كل ما هو جميل سواء ماديا أو معنويا و أثرت في الإنسان من حيث معنوياته و سيطرت عليه بفكرة الموت

نجد في عالمنا الأدبي فكرة الموت في كل الفنون الأدبية ، بحيث نجد صورا لشخصيات ليس لها علاقة بفكرة الموت فهي تعيش حياتها كما ينبغي إذ لا تخشى الموت و تحاول معرفة ساعة الوفاة بالنسبة لها و التي تناسبها بدورها ، إذ أنها لا تخافه فهي تختاره لغيرها ، وهذا ما نتعرف عليه في

الأدب ، فالأدب وحده يمكنه مواجهة الموت و تحديها و السيطرة عليها ، إذ أننا ندخل في الأعمال الأدبية كل تجارب الحياة ونخرج منها منتصرين فائزين تتأذى حياتنا و ليس هناك من يعكر صفوها فهي في أمان مطلق " **وواضح أن هذه النظرة التقليدية إلى الموت لابد أن تكتسحها الحرب ، فالحرب تواجه الإنسان بالموت و تجبره على الاعتراف و الإقرار به ، لأن الناس في الحرب لا يموتون بالآحاد ، بل بالعشرات في وقت واحد بل بعشرات الألوف في اليوم الواحد ، و لم يعد الموت صدفة ، رغم أنه يبدو كذلك حينما تصيب رصاصة بالذات هذا الرجل دون ذاك ، لكن الذي يعيش ربما تصيبه بكل سهولة رصاصة أخرى ، و من حصيلة كل الاحتمالات لا يكون ثمة داع للقول بالصدفة , و بانتقاء الصدفة تستعيد الحياة أهميتها و مغزاها ، و تكون للإنسان نظرته المغايرة إليها** " . [1]

إن ما نعيشه اليوم من أفكار و آراء تختلج أرواحنا و ما أصاب عقولنا من شلل و فشل في البحث و التفكير و ما نشعر به و نحسه يرجع إلى الحروب التي مر بها العالم و هذا ما جعل أفكارنا و آراءنا حول الموت المتغيرة ، وليس من الممكن أن تكون لنا نفس النظرة السابقة للموت كما تم عجزنا عن تكوين نظرة جديدة للموت و ربما لو تمكنت لنا نظرة مغايرة و مخالفة عن هاتين النظرتين للموت التاريخية ونظرة كل واحد متخفية في الوعي أو في الحياة العقلية

[1] سيجموند فرويد ، الحب و الحرب و الحضارة و الموت ، ت: عبد المنعم الحفني ، ص 30 ـ 31 .

فتح سميح القاسم عينيه على مأساة شعبه بحيث أنه عاشها و واكبها و احترق بنارها مما جعل منه شاعرا ملتزما بقضايا شعبه و وطنه هذا ما نتج عنه سجنه أكثر من مرة و وضع رهن الإقامة الجبرية بسبب أشعاره و مواقفه السياسية .

إذ أن تجربته الشعرية بدأت من وجعه الشخصي و بدوره هو وجع أمته و وطنه و لا يمكن أن يفرق ذاته و شعبه .

فميلاد تجربته الشعرية و ميلاد قصيدته و معاناته الشعرية ، كان قد بدأ من جرحه في طفولته بحيث أن هذا الجرح اتبعه و أتعبه في كبره .

الاحتلال بالنسبة إلى سميح القاسم لم يكن وطنا فقط بل احتلالا لطفولته التي لم يعشها كما ينبغي " **يمكن اعتبار هذا الاحتلال المبكر نوعا من الموت المسلط على مرحلة من أبهى المراحل التي لا تقوى التجارب الحيوية المنثالة طوال العمر أن تنسى الفرد تفاصيلها و ألقها . هو الموت ذاته سيرافق الشاعر طوال شبابه الأول ، فمذابح " دير ياسين " و " كفر قاسم " و صبرا و شتيلا " و غيرها من أحداث التقتيل التي نهجتها السياسة الإسرائيلية في سياق تحقيق الهدف الكبير و هو إخلاء الأرض من أصحابها كانت المحك الذي سيعمق إحساس الشاعر بالموت اليومي الذي ينسج في وطنه** ". [1]

مرحلة الطفولة هي من أجمل مراحل الإنسان إذ يعش في براءة بعيدا عن الواقع المزيف بعيدا عن الواقع المزيف ، بعيدا عن الحزن و الألم و المعاناة ، إذ أن هذه المرحلة في حياة سميح القاسم تم طمسها من قبل الاحتلال الإسرائيلي الذي بدوره حاول تحطيم آمالهم و تكثير آلامهم و إلغاء انتمائهم القومي بكل الوسائل إلا أن سميح القاسم كافح من خلال شعره لبتر كل هذه المحاولات في القضاء عل الهوية الفلسطينية إذ كتب شعرا عن كل هذه الأحداث و خاصة عن الطفولة التي تم طمسها من قبل الاحتلال الصهيوني .

هذا ما تجسد في قصيدة الطفل الذي ضحك لأمه المقتولة :

تعال يا ولدي ..

[1] عبد السلام المساوي ، جماليات الموت في شعر محمود درويش ، دار الساقي ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 2009 ، ص 12 .

تعال ارضع

فخف لها على أربع

و غرد ثغره : أماه

و كركر ، حين لم تسمع ..

وشدّ رداهّا

و رؤاه .. دغدغة و أرجوحة .

وردد عاتبا امـ ...ا ! [1]

فهذا المقطع يوضح لنا معاناة الطفل الفلسطيني منذ نعومة أظافره ، إذ يجسد لنا حرمان الطفل من أمه و هو لا يزال رضيعًا وهذا ما سعى إليه الاحتلال الصهيوني من خلال مجازره و أفعاله الشنيعة ضد الشعب الفلسطيني .

فسميح القاسم لم يترك أفعال المحتل تنسى ، فهو حاول ترسيخها في ذاكرة الجميع سواء فلسطينيين أم غير ذلك ، لكي يكبر الكره والحقد للصهيوني المحتل و تنمو الرغبة في التضحية و الفداء من اجل استرجاع الوطن و الحرية . الوطن الذي سلب بالقوة ومن غير حق ، فكان عليهم الدفاع عن أرضهم بجنون وراء شهوة الثأر .

" فكان عليه أن يشتغل عليه جماليات لتحويله إلى رمز يتجاوز سطح المأساة و ليحفز في الذاكرة لحظة من الكثافة المجدية التي تعطي الوطن شكل أمنية مستقبلية وهي المهمة التي سينذر لها الشاعر إبداعه الشعري النثري في محاولة لخلق التوازن الضروري بين الذاتي و الموضوعي عبر لغة تحتال على الموت حتى يصبح في خدمة القضية ... "[2]

هذا ما فعله سميح القاسم بالفعل حيث أنه أخذ يشتغل على أحداث مأساوية ليحولها بعد ذلك إلى رموز في قصائده و يعطيها بعدًا جماليًا و معنى بعيدًا وقويًا يهدف إلى غاية استرجاع

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، دار العودة ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 2004 ، ص 153.

[2] عبد السلام المساوي ، جماليات الموت في شعر محمود درويش ، ص 12 ـ 13 .

الأرض و الحرية و لتبقى هذه الرموز راسخة في ذاكرة الشعب الفلسطيني خاصة و العالم عامة ، فقد نذر شعره و نثره بالفعل لهذه الأخيرة . إذ جاء في قصيدة الأرض من بعدي :

أرضي التي .. بعظام أجدادي

قلبتها .. و جبلت أولادي

أرضي التي دللت تربتها

ورعيت طول العمر حنطتها

أرضي التي ...

أيصير من تهوى ؟

و أصير ذكرى ... ثم لا اذكر !! [1]

استدعى سميح في هذه القصيدة الأرض التي تعد الأم التي تحمي أبناءها من الضياع و الشتات التي ترمز إلى الحنان و العطف فعلا بنفس مواصفات الأم الحقيقية ، كلها تطبق على الأرض .

فهذه الأرض شهدت حربًا ظالمة من قبل الكيان الصهيوني المتجبر و القاهر الذي حطم كل أمالها في الحياة و دمر حياة أبنائها و شردهم

ومن هنا نبسط لقاموس الموت عند سميح القاسم من خلال قصائده و دواوينه .

القصائد	الصفحة
مواكب الشمس " الناصرة 1953 " :.	15
ـ مرثية لبتريس لومومبيا .	41
ـ مرثية أغنية قديمة .	49

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص 293 .

دكان البراكين " 1968 ":	109
ـ الذي قتل في المنفى كتب إليّ .	134
ـ الطفل الذي ضحك لامه المقتولة .	142
ـ الموت يشتهيني فتيا .	143
أنادي الموت .	157
في انتظار طائر الرعد " عكا 1969 ":	221
ـ وقع خطي في دهليز .	262
دمعي على كفي الناصرة " 1967 " :	271
ـ إليك هناك حيث الموت .	284
ـ حتى الموت .	320
قصائد مهربة :	391
ـ قتلى محض باطل .	399
ـ الموت في الوعي الكامل .	409
قرآن الموت والياسمين " القدس 1971 ":	441
ـ استقالة من شركة التأمين من الموت .	448
ـ همس قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة .	455
ـ الموت مع سبق الإصرار .	456
ـ وظيفة الموت .	458
ـ الخروج على صهوة الموت	473

الموت الكبير " بيروت 1972 " :	7
ـ ما تيسر من سورة الموت .	9
ـ ترجو الموت ليقتلوه في أعالي الظهيرة .	17
ـ حيث صار الموت عادة .	22
ـ الموت في الغربة .	30
ما قتلوه و ما صلبوه ولكن شبه لهم " القدس 1976 " :	89
ـ كفر قاسم إلى دهر الداهرين .	127
ـ الموت قبل موعد المبارزة .	150
ـ كيف أعطي ثمار الموتى .	171
ـ دبكة الموت .	221
كتاب الحماسة " عكا 1978 " :	243
ـ الموت يثمر !	245
ـ الرجل الذي زار الموت .	250
ـ ودم الشهيد رسالة نبوية .	267
احبك كما يشتهي الموت " 1980 " :	269
ـ اعتراف لكاهن الموت .	276
ـ احبك كما يشتهي الموت .	321
الجانب المعتم من التفاحة الجانب المضيء من القلب :	323
ـ امبارغو على الموت .	327
ـ مملكة الموت .	361
ادرايسن :	30
ـ خطبة الموت	38
ـ معجم الشهداء .	83

إن ما نلاحظه في قاموس الموت الوارد في العناوين المسرودة سابقا أن جلّ المعاني تؤدي إلى مصطلح الموت ، يعني القتل كفعل عنيف يمارس على الشخص و ليس كمفهوم ‘لهي حتمي طبيعي و يمكن أن نستنتج ذلك من خلال : المأساة ، الدم ، الدموع ، مرثية ، قتل ، المقتولة الموت ، اقتلوني ، ترثوا ، البيت الحزين ، وصية ... وبهذا نصل إلى جملة من الاحتمالات عن الموت في شعر سميح القاسم التي تم حصرها بين عدّة دواوين منها دخان البراكين 1968 و دمعي على كفي الناصرة 1969 ، ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبّه لهم 1978 ، أحبك كما يشتهي الموت 1980 و التي وجد فيها :

ـ اعتبار الشعر المقاوم هو سلاح إذ أنه يقوم بوظيفة التحميس و التشجيع على المقاومة وانتزاع الحرية لاسترجاع الكرامة و الوطن بنفس الطريقة التي اعتمد عليها الشعراء سابقا في تحقيق الهدف المراد من خلال توصيل الرسالة بالشعر مثل ما عرف عند الشعراء القدامى إذ ما يعرف بشعر الحماسة عند شعراء الحماسة .

ـ الإيمان بأن الإقدام على الموت و الفداء و الاستشهاد بأنه الطريقة الوحيدة لاسترجاع ما سلب إذ ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ، وهذه القوة تتطلب تضحية كبيرة ، و أن لا طريقة غيرها يمكن أن تسترجع ما أخذ و لا سبيل غيرها للرد على المغتصبين وذلك بانتقام مدمر .

ـ بعيدا عن الموت بأنه ضرورة حتمية أو أنه موت ميتافيزيقي من خلال الماضي الحزين الذي عاشه الشعب الفلسطيني من خلال طفولته من تشرد وضياع و جوع و قتل ... كلها كانت سببًا إلى الكتابة و الى البحث عن الجهاد و الاستشهاد في سبيل الوطن .

ـ كون الشاعر اختلطت عليه مشاعره من خلال توجهه الشعري فيما هو ذاتي و ما هو جماعي فيما يتعلق بالموت ، إذ أن شعره كان تابعًا لعصر ما إذ تغير مفهوم الشعر عنده تبعا لتغير إيقاع العصر بعد ما حصل في فلسطين من اتفاقيات و مفاوضات .

إذ كانت هذه الفرضيات الأولية مجرد كتابات يسعى من خلالها الشاعر إلى الترويح عن نفسه أو بتأسيس قاعدة للقراءة الشعرية ، فإنني سأحاول تعزيز هذه القراءة من خلال ما استمدته من إضاءات خارجية أراها ضرورية في خطوتي نحو قراءتي لشعر سميح القاسم فبعضها لنقاد جذبهم شعر سميح القاسم فانبهروا به .

وبعضها لباحثين وبعضها الآخر للشاعر نفسه ، من خلال حوارات أجراها ، إذ تعد كتابات سميح القاسم الشعرية أو النثرية في جل المواضيع ، قيّمة لها بعد فني جميل ، فقيمة شعر سميح القاسم لا تقل أهمية عن قيمة نثره ، فكلها لها غاية واحدة و هدف واحد ، وهو خدمة القضية الفلسطينية ، فقد كتب مجموعة من الخواطر و الحكايات ،كما نجده كتب في المسرح و كتب عدّة مقالات ... و بها اثبت عبقريته الشعرية في الكتابة ، التي تعد أهم ما أبدع الشعراء العرب في شعر المقاومة .

"و لا ننسى الرسائل ، التي تداولها سميح القاسم مع صديقه و رفيقه المقرب محمود درويش، التي أثارت واقع القمع والإفقار وتكميم الأفواه ، إذ أن هذه الرسائل ، لها أهمية بالغة في إيصال معاناة الشاعر الفلسطيني ، و احتوائها على لب القضية الفلسطينية ، و هي الأرض المسلوبة و الوطن الغارق في الدماء ، إذ يتناغم فيها الفن و الأدب ، و يتراوح بين ما هو ذاتي و ما هو موضوعي وذلك بأسلوب يأسر القلوب و يبهر العقول ، من صدق المشاعر و طبيعة الانتماء" [1] .

من خلال هذه الإشارة لبعض من النصوص النثرية ، للشاعر يمكن كذلك أن نضيء جانب من النصوص الشعرية ، إذ أن سميح القاسم جعل من نفسه شاعرا ، في الحياة و الكتابة إذ لا يمكن الفصل بينه و بين الشعر ، فشعره يعبر عنه و عن ما يعشه وما يحس به ، إذ أنه بأعماله هاته ظل مشدودا إلى فلسطين دون سواها ، مغذيا تاريخها و أراضيها و حقولها و أطفالها و شهداءها ، دون أن يتخلى عن بناء قصيدته الفنية ، التي حملت القضية الفلسطينية إلى العالم بأكمله ، لتصبح بدورها جزءًا من ضمير العالم ، كقضية شعب مكافح حمل السلاح بيد و الكتابة بيد أخرى .

[1] ينظر : عبد السلام المساوي ، جماليات الموت في شعر محمود درويش ، ص 18 .

المطلب الأول : فلسطين و الموت :

فلسطين عرفت الموت أكثر من غيرها ، فهي عايشته وعاش فيها ، وسكن فيها تألمت و تحسرت من ظلم كان سببه المحتل الغاشم ، إذ يقول عبد اللطيف اللعبي : " **إن فلسطين تعرف الموت جيدًا لقد أخرجته من غياهب الأسطورة ، ودوائر القلق الميتافيزيقي و السر المطلق ، لتجعل منه متجولا عاديا في أزقة الاستشهاد و المعمورة ، لم يعد الموت فناء أو نهاية عبثية تقام حولها طقوس الودعات بدون رجعه . إنه تلك اليد الحديدية ، ولكن الأليفة تأتي تخترق الصفوف بين الفنية و الأخرى لتخطف زهرات الدم اليانعة بخزان البذور ، الذي يتحتم على كل ثورة أن تزوده بالاحتياط اللازم إلى أن يحل الربيع الدائم** "[1] .

إذ أن هذا القول هو نابع من الواقع الفلسطيني مما يعيشه من حياة سجينة لتجعل من الموت حرية لها ، التحرر من المعاناة و الألم إذ أن أكبر معاناته بدأت من مذبحة دير ياسين التي قام بها المحتل الصهيوني في 1948 و بعدها المذبحة التي حدثت بدون معرفة السبب وهي مذبحة كفر ياسين التي راح ضحيتها العديد من الفلسطينيين وصولا إلى مجزرة صبرا و شتيلا التي راح فيها الكثير من الفلسطينيين ضحية ...

تعد هذه الفترة القاهرة و المدمرة التي مر بها الشعب الفلسطيني إلا أنه لا يزال صامدا ، وهي فترة تبرهن بأدلة قاطعة على إقدام الشعب الفلسطيني على الفداء والتضحية من اجل الحرية و الانتصار و استرجاع أرضه وحقه المنزوع ، مما جعل الموت لا تعني له شيئًا بقدر ما تعني له الحرية و الاستقلال فهذا ما نجده في قصائد الشاعر الفلسطيني سميح القاسم التي اشتملت أغلب قصائده على الموت ، إذ نجده في قصائده يتحدث بلغة التمجيد للشهداء الذين راحوا بطريقة تعسفية ظالمة و التشجيع على الاستشهاد في سبيل استرجاع الوطن و استيراد الحق المسلوب ، كما أن قصائده لم تخلُ من الرموز الفلسطينية و العالمية و الحفاظ على الأحداث و التواريخ الفلسطينية لتبقى راسخة في التاريخ الأدبي و في ذهن الشعب الفلسطيني ... و لقهر الاحتلال الذي ظن بأنه يمكن أن يطمسها .

[1] عبد اللطيف اللعبي ، الكتابة الفلسطينية في الوعي و اللاوعي ، مجلة الكرمل ، الاتحاد العام للكتاب و الصحفيين الفلسطينيين ، بيروت ، لبنان 1982 ، العدد 6 ، ص 313 .

إذ نجد شعر سميح القاسم يتحدث عن موت الفلسطينيين حينما تنظر إلى شعره نجد أن حياته انطبعت فيه بحيث تتمثل شخصيته في رؤيته للحياة و تصوره للكون و الإنسان كذلك تجربته و همومه و أشجانه و موقفه من الحياة و و الموت.

يأسى سميح القاسم في قصائده على الوضع المحزن الذي يعيشه الفلسطينيون و يشير إلى الموت الذي يترصد الفلسطينيين هذا ما يتجسد معناه في قصيدة نادي الموت.

فأنا يا أم أطفالي الشقية

أنا لا أنكر مأساتي الطويلة

أنا لا أبني سياجا ، حول أحلامي القتيلة

إنني أرفع وجهي للرياح

أتحدّاها... و أعطي في الصباح

المساكين ، تراتيلي القليلة

أنا لا أنكر مأساتي ، و لا أخفي عذابي.

إنني أنزف تاريخي ، على ظفرٍ و نابِ

فأغفر لي ،

إغفر لي غلطة البركان... لو ناديت موتي

و على جرعة سم

ينهب الأعداء لحمي.

و الأحباء... تقاطيعي و صوتي! [1]

عايش الفلسطينيون الموت بأدق تفاصيلها و بكل معانيها فلم يخلُ منزل من استشهاد أحد أو أكثر منه و اعتادوا على فكرة الموت إلاّ أنهم صمدوا و تحدوه و هذا ما عبر عنه سميح في قصائده

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص 157 ـ 158 .

فهو يسعى إلى الخلود الروحي. الخلود الذي يبقه حيا إلى الأبد و بعيدا عن الموت الذي لطالما لازم أبناء شعبه.

نجد حضور فلسطين في شعر سميح القاسم بصفة الأم يعني كمركز للأمومة المعطاءة و للهوية إذ على الأبناء التضحية بأرواحهم من أجل أن تبقى هي حية، و يوم الأرض هو طقس يحتفل به من أجل أن ترسخ فكرة الأرض كرمز في الوعي و اللاوعي للشعب الفلسطيني لكي تبقى العلاقة قوية بين الأم و أبنائها.

هذا ما يستحضر بكثرة في شعر سميح إذ أنه طبيعي باعتباره شاعر فلسطيني جاء في قصيدة تاريخ أغنية من عالم الجذور :

و كان يا ما كان

أن شرشت في بركة الدمع بذور الحقد

و صار الأغصان

جسرا على فجيعتي يمتد

إلى نهار الورد

و صار يا ما صار

أن عادت الأمطار

تحرك التاريخ من سباته.

و توقظ الأشجار

باسم صغار النفي، باسم البيرق المهان.

باسم قبور سئمت شقائق النعمان.[1]

يأتي سميح القاسم يناضل و يقاتل ضد الكيان الصهيوني وجها لوجه سواء نثرا أم شعرا، دون الخروج من الأرض التي تربى و ترعرع في أحضانها و أشجارها و كتب من أشعارٍ فيها و إليها من

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص542 ـ 543 .

خلال اعتماد شعره على زمن الأرض بصورة المقاومة بصورة صامدة، بأن فلسطين و القدس هي للفلسطينيين فقط و ليس لأحد الحق في التدخل في شؤونها و لا في امتلاكها و أن عليه الحث على حب الوطن و الأرض التي تعد الأم الروحية لأبناء شعبه، الأمّ التي تحتضن و تحس أبناءها بالأمان و الطمأنينة و السلام الروحي.

" أما السنوات السبعين و ما رافقها من انفجار الصراع في لبنان و النكسة التي أصابت كل عربي يؤمن بإنتمائه القومي، و فلسطين يتمسك بتراب وطنه أينما كان. فقط عبرت عنها قصائد سميح القاسم في دواوينه التي طغت على عناوينها كلمة "الموت" إذ كان الموت الروحي و الجسدي صّده الفلسطينيون في أيلول الأسود و الأردن و تل الزعتر و الشياح و عَين الدمانة في لبنان و في الضفة الغربية و قطاع غزة و في الجليل و المثلث في يوم الأرض 1976. "[1]

مر العالم العربي بظروف قاسية جدا جراء الاحتلال الصهيوني لفلسطين و بعض من سوريا و لبنان . حربه مع مصر هو حلم أن يسلم العرب من شر الكيان الصهيوني الذي حاول محو العرب من الأرض و احتلال أراضيهم و نسبها إليه، حاول العرب تدميره إلاّ أنهم هزموا، لكن الأكثر ضرراً هي فلسطين التي لم تجد سلاحا للدفاع هذا ما جعل أبناءها يتخذون أقلامهم سلاحا لانتزاع الحرية و استرجاع الأرض و السيادة الوطنية و قنا عتهم بأن فلسطين هي بلدهم و لا يمكن الاستغناء عنها أو التفريط فيها حتى و لو كلف ذلك حياتهم و قد جاء في قصيدة نرجو الموت ليقتلوه في أعالي الظهيرة لسميح القاسم.

صاعد من صدأ المنفى و قضبان السجون

صاعد ملء الليالي الدموية.

ملء أحزان النهارات... نداء و شظيةُ

[1] نبيه القاسم ، سميح القاسم مبدع لا يستأذن احد ، موسوعة أبحاث و دراسات في الأدب الفلسطيني الحديث ، مجمع قاسمي للغة العربية ، ط1 أم الفحم ، 2011 ، ص 226 .

صاعد... فانتظريني!

خنجري من فضة الموت و من عشبي و طيني.

و جوادي غضب الريح

و مهمازي حنين الياسمين

صاعدي حبي الغالي

و عاري

و جنوني [1]

فهنا تتضح شاعرية سميح القاسم عندما يتعلق الأمر بموضوع الأرض، إذ أنه يسعي إلى ترسيخ و تقديس الأرض بوصفها رمزا ، فهي الأم التي تحن لأولادها و تحميهم و لا تتخلى عنهم و تكون لهم مأوى في زمن كثرت فيه الذئاب الجائعة التي تتجسس و تتمهل لإصطياد فريستها و هذا ما جاء في قصيدة مصارع الرجال :

أبكي لعلة نخلة البكاء

أبكي من المحيط للخليج

أبكيك يا جمال

أبكيك في مصانع لم تفتحها بعد

أبكيك في معاهد لم تفتحها بعد

و في صحاري فرشت رمالها يداك

سنابك وورود . [2]

إن الشاعر هنا حاول خلق علاقة شعرية يمتزج فيها شعره بحبه لأرضه و تجذره أي إمتزاج جسده بالأرض بالحب الذي يكنه لها و الانتماء الذي يشعر به ، فهو يحاول من خلال هذا خلق قوة تمكنه من مواجهة ا لعدو، بحيث أن ضياع الأرض جعل في نفسه فراغا يفضي إلى التّشرد و

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص 17 .

[2] المصدر نفسه ، ج2 ، ص 10 .

الشتات الجسدي و الحنين الروحي و ذلك من خلال عناصر الطبيعة نخلة ، المحيط ، مصانع معاهد ، صحاري ، رمال ، سنابل ، ورد ، ... فهو يبكيهم من شدّة الحزن و الألم و القهر العالق بروحه من جراء الظلم الذي تعرض له من قبل المحتل فهي عناصر جسدت موته و موت فلسطين.

من خلال هذا نجد إرتباطا وثيقا بين سميح و الأرض و ذلك في تجسده في شعره الذي يعد حقيقة تتوجب الإستيعاب في الوعي الجمعي و الفردي ، الذي يقوي علاقة بين الفرد و الأرض " **إذن ، فإن التماهي المطلق بين الذات و رمزية الأرض قد يذهب إلى حدّ بعيد ، عندما تصبح الذات حالة محل الأرض ونائبه عنها ، وعندئذ تستعير منها كل الصفات المميزة للأرض بإعتبارها مكان** "[1] ، إذ هنا يتجسد لنا الموت الذي سلّطه الإحتلال الإسرائيلي بالقوة و العنف من جهة أنه موت حقيقي و من جهة أخرى موت معنوي وليد الشعور بالإنهزام و الإنعكاس هذا ما جعل من الشاعر يقوم بشحن شعره بدلالات و معاني تدل على ذلك.

إنّ شعر سميح القاسم هو شعر المقاومة الفلسطينية شاعر القومية العربية، شاعر الملاحم، شاعر الغضب، الصراع....

ولكن في الحقيقة العميقة هو نفس ما يعبر عن الشاعر بدون تمايز إذ أن شعره هو بعيد عن الحياة و القدر الذي ارتبط به بالمقاومة هو غناء من أجل الحياة و الإستمرارية و التجديد، إذ أن سميح سار على نفس الإيقاع الذي سار عليه بول إيلوار حيث كان يغني للحرية و المقاومة و الحب في زمن الإحتلال النازي الفرنسي، هذا ما يتجسد في صرامة الشاعر الفلسطيني. نقف عند بعض ما جاء في قصيدة خطاب فيسوق البطالة :

ربما أفقد. ما شئت. معاشي

ربما أعرض للبيع ثيابي و فراشي

ربما أعمل حجازا.. و عتالا.. و كناس شوارع

ربما أبحث ، في روث الهوامش، عن حبوب

[1] عبد السلام المساوي ، جماليات الموت في شعر محمود درويش ، ص 25 .

ربما أخمد...عريانا... و جائع..

ياعدوا الشمس... لكن.. لن أساومْ..

و إلى آخر نبض في عروقي.. سأقاوم!! [1]

إذا قام سميح القاسم بتوظيف جل شعره من أجل خدمة القضية الفلسطينية إذ أنه كتب فيها أقوى المقالات و التصريحات التي يمكنها أن تخدم القضية.

كما أنه ظل يقاوم إلى آخر روح ، يقاوم في وطن يحاربه الذئاب و قد يتلقى في أي لحظة هجوما منهم ألاّ أنه لم يستسلم و ظل يكتب نثرا و شعرا تقريريا ممزوجا بين التاريخ و الأسطورة هذا ما تجسد في قصائد نجيب محفوظ، هيروشيما، توقع يا قيصر الروم... و نمثل ذلك بمقطع من قصيدة هيروشيما:

تبيض أجنحة الغراب!

و تلف أذنابا من الخزي، الكلاب!

و تلوب في فزع و في خجل، على أرض الرماد المر.

أسراب الذباب.

و تحف من رعب السؤال... تجف حنجرة الجواب:

من أي أعماق البشر

يتفجر الموت الزقام على البشر؟!

ولأي كهف ينزوي الله المغرب بالغبار

و بالدخان و بالشرر؟

و بأي معراج الأنبياء الصالحون

غداة تربد الصور؟

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص 275 .

بالحظ؟ بالمقسوم؟ بالمكتوب في غيب القدر؟! [1]

عرف سميح القاسم بإلتزامه بقضية وطنه و حيال شعبه ، و كان في كل أزمنة حاضر بقلمه و كلمته ، التي تعد سلاحا في وجه العدو، فهو لم يسلم من قبضة العدو، سجن و عاش كثيرا من أجل إيصال الصوت الفلسطيني إلى العالم الآخر خاصة العالم العربي، ذلك بشهرته وكلماته التي كان لها ثقل و لها معنى و جمال إبداعي وإيقاعي.

المطلب الثاني : الموت الأسمى:(الإستشهاد)

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج1 ، ص 209 .

يعد موضوع الإستشهاد و التضحية في سبيل الوطن مهم بالنسبة لسميح القاسم بل يعد لازم وجوده في شعره من خلال دواوينه دخان البراكين، طلب انتساب للحزب ، في إنتظار طائر الرعد دمى على كفي،إذ في هذه المجموعة تتجلى لنا الرؤية الشعرية المؤيدة للحركة المقاومة نتج منها سقوط عدد كبير من الفلسطينيين الذين أصروا على انتزاع الحرية بالقوة حتى لو كان ذلك يكلفهم حياتهم، و لا ننسى المجازر التي قامت بها السلطة الإسرائيلية التي خلقت شهداء بكم هائل و مذابح وغيرها من الإرهابية ضد الشعب الفلسطيني و كان هدفها من ذلك تهجير الفلسطينيين من مدنهم و قواهم :

كفر قاسم !

يا شجرتي المحتقنة بالبارود و الدم

جذرت ركبتاي من طول ما حبوتْ عليها

فليأت العالم

و ليرى كيف ينفجر رأسي الجميل، كثمرة الرمان.

تحت جنا زير الدبابات و خرافة العصر.

كفر قاسم!

لم أعد أحصي جراحي فقد تعبت

كفر قاسم

أعطيتني فما.. فلأ تكلم

و لأ صرخ من شدة حبي و حسرتي

و أغفري لي أماسيك الباهضة.

إن لم أوسد عنقك المذبوح، بذراعي.[1]

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 2 ، ص 128 ـ 129 .

في العديد من الأديان كان يبرهن لنا سميح القاسم من خلال قصائده على أرضه إذ كان التفاعل مع قصائده واضحًا بشكل جلي حيث أن شعره شكل مساحة خاصة غير المساحة التي عرف بها سائر شعراء المقاومة خاصة و العرب عامة .

التجربة الفلسطينية قاسية لا ترحم إذ أنها في جميع نواحي الحياة تم التدخل في أعماق أعماقها ، إذ أن ليس هناك من يفلت من هذه المشاكل أو حتى الكاتب يمكنه أن يتفاداها ، إذ هي تجربة لا يمكن تجاوزها ، إذ كانوا في الداخل أم الخارج فهم ملزمون بمعايشة الأحداث و الظروف التي يعيشها الشعب الفلسطيني من أسر و ضياع، إذ أن جميع الكتاب اتجهوا إلى هذه الكتابة من الواقع و التجربة أي للإلتزام بالقضية الوطنية، إذ أن القدر و الواقع يجبرهم على الكتابة في تلك اللحظة كما أنهم محرومون من نعمة اختيار الموضوع الذي يكتبون فيه أحبوا من ذكرياتهم مثلا . إذ ناضلوا من أجل الحرية و الاستقلال و كافحوا ضد عقبات من كل فرع و حجم، كما أن الشعراء الفلسطينيين كانوا مبدعين إلى حد كبير ، إذ أنهم برزوا في مقدمة الكتاب العرب هذا ما يتضح في شعر سميح القاسم و في قصيدة غزة :

يا حبي المحضور

طفلا لاهيا في ساحتك

و فتى ينازل غاصبيك، على تراب أزقتك.

و أن القتيل على الرصيف.

و أن الأشداء الوقوف .

و أن البيوت.. البرتقال .

أن العذاب..

أن الصمود..

أن المئات

أن الألوف!

اليوم صار على المحبين اختيار الموت

أو بدأ الفراق

اليوم عرس دمي المراق

و أن ...و أنت...

تعيش يا حبي المقاوم

أو نموت ! [1]

الأدب الفلسطيني جزء لا يتجزأ من الأدب العربي ، بحيث أن له دور مهم و بارز في التجارب الثورية و في الساحة الأدبية.

بحيث أن في الخمسينيات أصبح جل انشغاله ، مرتكزا على القضية السياسية ، و هذا ما شغل بال المجتمع العربي حاليا ، أي الحالة السياسية التي يعيشها المجتمع العربي ، من صراع اجتماعي و سياسي ، و الذي يمر به الشعب العربي.

إذ أن السياسة تؤثر في الكاتب ، و في حياته الخاصة و في شعره ، إذ أنها تستدعي أن يكون ملتزما بأفكارٍ سياسية معينة ، بحيث نجد سميح القاسم ملتزما كل الالتزام ، بقضية شعبه بمشكلة الهوية التي تدفع بهم إلى قضاء حياتهم منفيين ، هذا ما ورد في قصيدة ليد ظلت تقاوم :

و على روث المواشي

يقع حمر

وفي الدوار تعيد ما تم:

كفر قاسم

كفر قاسم

و زهرات من البرقوق في صدر امرأه

و عيون مطفأه

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 2 ، ص 50 .

و عويل غارق في رهبة المأساة عائم!

و أنا ريشة نسر

في مهب الحزن و الغيظ

إله لا يساوم ! [1]

من خلال هذا نجد الإلتزام عند سميح القاسم الذي تجسد من خلال فكرة المقاومة التي ارتبطت بشعره بحيث أنها مبدأ للحياة لا يتمكن منها إلاّ الشعراء العمالقة فهي بمفهوم آخر المشي في أرض مزروعة بالألغام من أجل انتزاع الحياة إذْ أن الإرادة صامدة و مقاومة لذلك و لا الإبداع يمكنه أن يتخلى عن مساره الشعري إذ أن فكرة الإلتزام عند سميح القاسم عميقة بجذورها متصلبة بمبادئها كما تتصور في حياة الشاعر.

" مرة أخرى تبرز فلسطين كخبيرة الجدلية، إن معرفتها العميقة بالموت تمكنها من النفاذ إلى جوهره، و تحطيم نواته العاصية و تحويل مبدئه ووظيفته. إنّ الموت في هذه الحالة يصبح أساس الإنبعاث ، الموت ينتج الحياة بقدرما ينتج الحياة الموت . معنى ذلك أن الإنسان يستطيع فهم و توجيه قدره ، معنى ذلك أن حركة التحرير من كل ما يعوق (الإبداع الحر للحياة) حسب تعبير ماركس ليست من قبيل العرضيات، بل من الضروريات ، لأنها جزء من حركة الواقع و التاريخ، شرط أكيد لاستمرار تجربتنا الإنسانية على هذه الأرض هكذا تنقل فلسطين جدلية الموت و الإنبعاث إلى الضمير العربي " [2]

تظل رغبة الفلسطينيين في الإستشهاد و المقاومة ذلك عن طريق الفداء و الإنتصار ، و لعل سبب ذلك هو الكفاح و الاجتهاد من أجل استرجاع الأرض المسلوبة، رغم أن فلسطين عاشت معاناة صعبة و مؤلمة فرضت عليها المقاومة و الفداء في سبيل الوطن و بسبب هذه المعاناة سيطر الموت شكلا و مضمونا على الشعر الفلسطيني مثال ذلك قول سميح القاسم ، من المرارة ، مرت مع الموت ، كان الموت يحفظ كل شيء ، الموت صار على المحبين إختيار الموت ، قدر علينا... أن

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص 281 .

[2] عبد اللطيف اللعبي ، الكتابة الفلسطينية في الوعي و اللاوعي ، ص 313 .

تعيشي كي أموت ، أو تموتي كي أعيش ، و نتج عن ذلك ضرورة المقاومة قائلا : لن أساوم ، إلى آخر نبض في عروقي سأقاوم ، إذ أنه لا يخاف الموت لأن الحياة تبعث من رحم الموت ، إذ كانت إسرائيل تحصى عدد القتلى الفلسطينيين بالمئات ، بالمقابل هي لم تخسر هذا ما دفع بالفلسطينيين إلى تسديد الضربة ، حتى و لو كلف حياتهم ، فالشهيد بطل مكانه مضمون في الجنة ، موطن الروح و التأمل و الخلود الأبدي و شفافية الموت، فلسطين تتألم و تعاني جراء القدر القاسي فربما يتحقق الانتصار على الموت بالتحرر و الإستقلال.

و يتجسد ذلك أيضا في عدّة دواوين و عناوين القصائد لسميح " **و صورت قصائد و الدواوين (جهات الروح 1983، قرابين 1983. سربية الصحراء 1984 ، بوسونا تون غراتا 1986. لا أستأذن أحد 1988) صمود الفلسطينيين البطولي في الجنوب اللبنانيو و بيروت و طرابلس، قبل و أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982 و خروجهم و ما رافق ذلك من حزن و يأس و اكتئاب "**[1].

شروط الحياة القاسية التي فرضها الإحتلال الصهيوني ، على الشعب الفلسطيني جعلته يتمنى الحرية ، و هذا ما حاول سميح القاسم من خلال شعره ، مواجهته و ليس هذا فقط بل نضالا سياسيا و سجنا... المقاومة و انتفاضات متتالية ، بحيث أنه كان متضامنا مع جميع الشعوب ذات الحقوق المهضومة التي بدورها تسعى إلى التحرر من الإستعمار و العبودية في العالم إذ هذا ما جعل من سميح القاسم رمزا للمقاومة و الإنسانية و جعل من أشعاره مبادئ يعتمد عليها في التحدي و الصمود و المقاومة. فهو يعد من الشعراء الذين حملوا في شعرهم آلام و مآسي الشعب الفلسطيني إذ جملوا أحلامه و آماله في انتزاع الحرية التي لا بديل عنها إلاّ الموت و استرجاع الأرض المسلوبة .

والدي كان يصلي

لإله الأرض، في تربة حقل ،

حقلنا الموروث من قبل قرون

[1] نبيه القاسم ، سميح القاسم مبدع لا يستأذن احد ، 228 .

يوم جاءوا فجأة ،

واعتقلوني

و بعيدا... أخذوني.

.....

و مع العتمة في بعض السجون

ضفروا لي الشوك..

لكن.. ظل مرفوعا جبيني.[1]

وقد واصل الشاعر سميح القاسم مشواره الفني ، الذي كان مساندا للمقاومة ، إذ أن شعر سميح خال من التجريب و من البحث ، بحيث أن هذا المناضل السياسي و الملتزم ، إلى حد النخاع بالقضية الفلسطينية فعّد الشعر عنده وسيلته للتعْبئه و التحريض و فضح الأساليب الخبيثة للمستعمر و كشف ما يعانيه أبناء شعبه .

"لا شك أن الاستشهاد هو أسمى تضحية يقدم عليها الإنسان ، فليس هناك أغلى من بذل الروح في سبيل قضية أو موقف... و تاريخ فلسطين يبتدئ بأول شهيد تأجّجت في نفسه نخوة الوطنية فقرر الجهاد دونما تردد ؟"[2] لأنه وازن بين حرية الأرض إلى قيمة هذا العمل البطولي و دوره في تحميس المجاهدين ، و قد كان في ذلك شبيها بالنفحة البطولية ، التي تضمنها الشعر العربي القديم ، من أجمل ما كتب في هذا السياق في بداية النكبة الفلسطينية سميح القاسم ، بحيث يقول في قصيدة إلهي إلهي ، لماذا قتلتني؟

حتى تكون متساوين حول مائدة المفاوضات

ينبغي علي أولا أن أفضح العالم

من ثم نتبادل التحيات و السجائر الفاخرة

ونستدعي رجال الصحافة و مصوري التلفزيون

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص 134 .

[2] ينظر : عبد السلام المساوي ، جماليات الموت في شعر محمود درويش ، ص 34 .

في هذه الأثناء الممهولة بالزئبق

اختر لي أن أراجع دفاتر حساباتي الموروثة

و أن أتقصى وجوه الإحتمالات

كل معادلة بحساب

فلم يعد من ـ المحتمل ـ أو المنطق ـ أو اللائق ـ أن أظل فارسا من الفسيفساء [1].

ليبقى موضوع الاستشهاد يشغل الحيّز الأكبر في قصائد سميح القاسم ، إذ يكاد يكون موضوع ملازم لشعره ، و تبدو رؤيته الشعرية مكملة للمقاومة و التضحية .

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 4 ، ص 35 .

المطلب الثاني : الموت من المنظور الذاتي :

أهم من شغل بال البشر فكرة الموت التي تعد دقيقة جلية حقيقية، إذ أنها طالما أرهقت شعوب العالم في التفكير بها.

لعل الموت أصبح يمثل لديهم هاجسا ، الآن إن الجنس البشري راح يصارع الموت بكل ما لديه رغم علمه أن نهايته حتمية الفناء و النهاية، فهو يحاول توهم هذه الحقيقة من أجل الإستقرار و السلام الروحي.

" لجأ الإنسان منذ خلقه لدرء الموت بكل ما أجاد القلم، و لم يجد سوى الشعر للتعبير عن أحاسيسه و أفكاره اتجاه الموت ، فا لكلمة الشعرية بما تحمله من أنغام تشكل بالنسبة للشاعر متنفس إذ يطلق العنان لمشاعره و همومه و توجعاته إزاء الموت ، لذا يلاحظ أن جل الشعراء المعاصرين قد صنعوا فكرة الخلود في مخيا لهم الشعري لتجاوز الزمن الحقيقي إلى زمن سرمدي تحدوا فيه الموت ".[1] إذ أنه حاول التخلص من الموت، إلاّ أنه لم يجد السبيل للخلاص إلاّ من خلال كتابة الشعر باعتباره متنفسا الشاعر، فمن خلاله حاول الهروب من الموت من خلال مفرداته و ما تحمله من معاني إزاء الموت لتشكل بعد ذلك نبضا شعريا إيقاعيا يتناغم و روح الشاعر، إذ أنه يعبر من خلاله عن همومه و أحزانه ، عن ما يختلج صدره من مشاعر، و أوجاع اتجاه الموت ، فنرى أن جلّ الشعراء تحدثوا عن فكرة الموت من خلال فكرة الخلود الروحي.

"و الحياة بما تنطوي عليه من بقاء و زوال، تشده إلى السكون الذي يمثل هبوط الحياة و صخبها إلى الثبات المذكر بالموت، فيغريه المضي في التغير و التقلب و الحركة الدائمة و في الوقت ذاته، لا يستطيع التخلي عن فكرة اتجاه الحياة إلى السكون الأبدي (الموت) إذ تبدو (الأنا) محتضنة فكرة الموت و متمثلة لها ، فيصبح الموت الذي ينفي الحياة ظاهرا، مؤكدا لها و محركا لقوى الذات كي تنفي عنها هاجس السكون الأبدي، و بهذا تغدو أهداف غرائز الحياة إحداث توترات جديدة ".[1]

[1] محمد بنيس ، الشعر العربي المعاصر بنياته و ابدالاته ج 3 ، دار توبقال ، د ط ، الجزائر ، 2001 ، ص 245 .

[1] سيجموند فرويد ، الانا و الهو ، ت : محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، ط3 ، بيروت ، لبنان ، 1962 ، ص 38 .

الموت لا مفر منه و بما انه يشغل تفكير الإنسان الذي يبقى دائما يبحث عن الخلود ، و تبقى نظرة الإنسان إلى الموت هي نفس نظرته إلى الحياة ، لان الموت من صميم الحياة ؛ إذ أنه أداة لإثبات وجوده ، و التخفيف من فكرة إحساسه بالوحدة ، و السكون الأبدي و خوفه من المجهول و المعاناة و الوحدة و التلاشي الشخصي ذلك باقترابه من فكرة الحب و الذي يعد مشاعر تحمل الذات إلى عالم الخلود لتضمن استمرارية الحياة . " **علاقة الإنسان بالموت علاقة حياة و إثبات أحدهما يعني في الوقت نفسه إثبات الآخر ، و هو العلاقة الجدلية تمنح الإنسان فرصة إدراك النقيض فتبقى رغبته في الحياة أكثر حضورا و استحواذ على مشاعره و فكره، لأنه يعرف أن الموت قضاء على ما يعرفه، حتى و أن مارست الحياة قسوتها عليه، و أحس فيها بالاغتراب نتيجة عوامل كثيرة أهمها العامل النفسي، أما الموت فلا يعرف تجربته و لم يعشه من قبل. فتظل تجربة مجهولة غامضة .**"[2]

قد يتحدث الإنسان عن الموت أو يحاول وصفه بطريقة ما فهو بذلك يتحدث عن الحياة التي حاولت الخلود من خلال أن تكون شكلا من أشكال الوجود، واعتبار الانسان الموت أنها ساعة التحرر من ديمومة الحياة.

تنوعت رؤية الشاعر العربي للموت حسب مكوناته النفسية و الإنسانية و استعداده ومعطيات عصره ، التي تنعكس على توجهه و سيكولوجيتة لكن الإجمالي أن الشاعر ظل مشغولا بالموت على إعتبار أنه فقدٌ يحاصره في كل زمان و مكان ، و لا مفر منه، فأصيب بالإمتلاك و محاولة التعويض بالإنزواء في عالم النشوة و الصعلكة كامرئ القيس أو أن الموت قوة تدمير تكسر أحلام الإنسان كما صورتها رؤية المتنبي، أما أبو العلاء المعري فقد كانت تجربة الموت عنده ذات يقين خاص، حيث يصادق الموت، أما شعراء الصوفية فالموت عندهم حياة و لن تتحقق الحياة الأبدية و شعراء الرومنسية يجدونه مخلصا لعذابهم و آلامهم. " [1]

[2] عبد الناصر هلال ، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر ، ص 15 .

[1] المرجع السابق ، ص 25 ـ 26 .

إذ أنه كلما بقي الشعراء الرومنسين منحازين إلى الموت كلما قسى الواقع و المجتمع عليهم و أحسوا بعدم القدرة على معايشة الحياة ليأتي الموت بعد ذلك كمخلص من العذاب و الألم الذي يشعرون به ، ذلك من خلال دفن الانتظار و الهروب من الوجود المؤلم إلى عالم الخلود و الصفاء الذهني و الروحي .

ظل الشعراء الفلسطينيون الأكثر حديثا عن الموت في شعرهم و مناجاته ، باعتبار الواقع البائس الذي كانوا يعيشونه و الظروف السيئة التي يحاولون تخطيها و التخلص منها. و لكن لم يجدوا الحل إلاّ الذهاب إلى الشعر للتعبير عما يختلج أرواحهم.

" إن معنى الموت من هنا هو من أجل الحياة ، على النحو الذي يختفي تماما الحس الفجائعي الذي يرافق فضاء الموت الفردي دائما، و يظهر موت آخر ربما هو تعويض عن الموت موت الشخص الحاضر دائما في ساحة التجربة ، على النحو الذي يكون الموت من أجل القضية فضاء جديد للإستيعاب و احتواء الموت الذاتي و فرصته من أجل منحه معنى و مبررا يتيح له فرصة التمثل الأقل فجائعية بدلالة الموت الإستشهادي، الذي يمضي في سبيل البطولة و المقاومة و الدفاع عن المعاني النبيلة في الحياة. " [2]

هذا ما يتجسد لنا في قصائد سميح القاسم ، المعنونة بالموت هي تحد في حد ذاته ، فهو بذلك يواجه الموت ، إذ أنه يفضح عرى الموت ، و قصده في كونه ينال من الجسد ، وليس من الروح و هذا ما يتجلى في الزمن .

بحيث الأرواح المميزة ، التي تترك أثرا يخلدها التاريخ ، إذ أنها تموت جسديا و ليس روحيا ، فهي تبقى مخلدة، ذلك ما نجده في أمثال إمرؤ القيس ، عنترة بن شداد ، المتنبي ، المعري ...

لعل هؤلاء المخلدين ،لم ينل منهم الموت ، بل نال من أجسادهم فالأجساد فانية ، مهما طال العمر ، على عكس الأرواح فهي تبقى مخلدة ، من خلال ما كتبت .

[2] محمد صابر عبيد ، سيميائية الموت (تأويل الرؤية الشعرية قراءة في تجربة محمد القيسي) ، دار نينوي ، دط ، دمشق ، سوريا ، 2010 ص 54 .

أهم ما شغل بال سميح القاسم هو القضية الفلسطينية التي حاول الدفاع عنها بشعره و إيصالها إلى العالم أجمع و معاناة الشعب الفلسطيني مع الكيان الصهيوني منذ الإحتلال ، كما تطرق باقي شعراء العالم العربي إلى محنة هذا الوطن.

و على الرغم من أنّ موضوع الموت تعدّ موضوعة أصيلة ، و لصيقة بالشعر الفلسطيني و الإنسان الفلسطيني من تجربة ساحقة ، مع الموت بكل أشكاله .

إلا أن سميح القاسم كان حساسا جدًا ، من ناحية الموت الفلسطيني و هذا ما يبرز في شعره بكونه شاعرا فلسطينيا ، ملتزما بقضية وطنه و حيال شعبه، إذ حساسيته ذاتية ، يحاول من خلال توحيد الرؤيا مع الموت . و جاء في قصيدة حتى الموت :

و مرت كفك الصفراء.. فوق جبينك الأصفر

و صاح الجرح في عينيك.. صاح الألم الأكبر

أنا أقسمت إيا شعبي!.. أنا أقسمت

أن أسهر طول الليل .. أن أسهر طول العمر..

أن أسهر حتى الموت

أنا أقسمت أن أسهر !! [1]

فسميح هنا يحاول أن يقسم و يعاهد شعبه بضرورة اهتمامه بالقضية الفلسطينية في إيجاد حل لإنتزاع الحرية و إعادة السيادة الوطنية حتى بقلمه، بإعتبار سلاح السلام ، و الكفاح من أجل تحرير الوطن الذي هو مهبط الأنبياء و الرسل و الديانات السماوية.

وبسبب معاناة الشعب الفلسطيني سيطر الموت على الشعر الفلسطيني و هذا ما يتجلى في شعر سميح القاسم (و ماتت قبل مولدها ... ، وسلم من نيوب الموت ، و تعالي ... نعيش أو نمت)

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص 322 .

" و على الرغم من أن هاجس الموت الذاتي يهيمن على فكرة عند الشاعر هو الطاغي على كلامه الشعري ، إلاّ أن الإحساس بمعنى تجربة الموت من أجل القضية يأخذ شكلا آخر يصل فيه إلى درجة الحياة ". [1]

هذا ما يتضمنه شعر سميح القاسم ، من معاني الغربة و الوحشية و الحصار و النفي ، هي حقيقة عايشها الشاعر مع أبناء جلدته و بكل تفاصيلها الدقيقة، إذ تعد حقيقة مؤلمة ، حاول من خلالها الخلاص. ففي قصيدة "مأساة" "هوديني" المدهش .

سألد قبل البداية

لأن الختام كفاية

و أبدأ من صرخة التراب

و أبدأ من سعفة طوحتها الزوابع خلف السراب السراب

السراب

و أبدأ من طفلة ضامر

(...)

و فراشة في الصدر متلهية

أهوت على العتبة

من آخر الزمن . [2]

فالشاعر هنا يحاول الصمود و المقاومة و التمسك بالله ، يحكي معاناته ، معاناة شعبه، و معاناة أمة باتت متألمة منهارة منكسرة ، من جراء الإستيطان اليهودي ، و أفعاله الحقيرة بحق الشعب الفلسطيني.

[1] محمد صابر عبيد ، سيميائية الموت تأويل الرؤية الشعرية ، ص 53 .

[2] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 3 ، ص 133 ـ 134 .

إذ أن هؤلاء التعساء في مقاومتهم لا يخافون حتى من الموت لأن الحياة تبعث من رحم الموت.

" لا تتوقف فكرة الموت عند حدود معينة أو صور محددة، بل تتجاوز ذلك إلى أن تتجسد في الكثير من الأشياء."[1]

بعد ما أصبح الموت يجتاز الكل، فهو لا يترك شيئًا على حاله، عندما إحتلت إسرائيل جزءا كبيرا من أرض الوطن الفلسطيني و قتلت فيه عددا كبيرا، و شردت و طردت أعدادا كبيرة من الشعب الفلسطيني، إذ كانت إسرائيل تحصى الموتى من أعدائها بالمئات، بحيث كان الفلسطينيون يتلقون ضربات موجعة إلاّ أنها كانت خفيفة بالنسبة للضربات و الجرائم المرتكبة في حق الشعب الفلسطيني وهذا يتضح في قصيدة ريبورتاج .. عن حزيران عابر :

بيت أنقاض الموت حزيران التقينا

أنا و الموت ، تداخلنا ، اشتغلنا و اضأنا

وعلى أرصفة النكسة قابلت كثيرين ـ اعذروني ـ

فالعدد ،

صار شيئا و نقيضه

قال لي الراوي الذي أصبح شعبا في جسد :

باسم مليون شريد مرة أخرى

ومليون ذراع في السلاسل

باسم طفل ، مرة أخرى يتيم

و عجوز حرموها صفنة الذكرى

وتاريخ السنابل

مرة أخرى ، [2]

[1] محمد صابر عبيد ، سيميائية الموت تأويل الرؤية الشعرية ، ص 77 .

[2] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 2 ، ص 51 .

هذا المقطع من القصيدة يمثل لنا معاناة و مأساة الشعب الفلسطيني في تجسيد الموت الذاتي .

إن التجربة الفلسطينية لا ترحم ، لم تدع ناحية من نواحي الحياة إلا و دخلت فيها و في عمقها ، إذ ليس هناك من فلسطيني فلت من قبضتها المؤلمة ، أو كاتب حاول تجاهلها و تفاديها إذ أنها لا يمكن نسيانها و تجاوزها ، سواء الفلسطينيون في الداخل أم في الخارج ، فإنهم ملزمون باعتباره أن القضية وطنية ، وملزمون بمعايشة الأوضاع السيئة و المعاناة المؤلمة ، فكل منهم حاول تأدية ما عليه لانتزع الحرية كل اتخذ سبيله في ذلك ، و هناك من حاول بشعره تجسيد الموت " **و لعل الشعر هو أهم استراتيجيات الحرية تنكيلا بالموت ، لكونه قادرا على امتصاص التجارب السالفة و إعادة إنتاجها في شكل خطاب إبداعي أكثر متانة و قوة ، لاسيما إذا كان هذا الخطاب شديد الصلة بشخصية صاحبه ، إن أعمق اللحظات التي يدمجها الشاعر في مشروعه الفني و هو يوجه إشكالية الموت و الحياة ، تتجلى في استعارته لتجربة المتصوفة ـ و الشعر ضرب من التصوف مادامت القصيدة سفرا في عوالم الروح بحثا عن نقطة الوصول ـ و نعني بذلك انه يقفز على الموت البيولوجي .** "[1]

فالكاتب هنا اتخذ من الشعر إستراتيجية حربية في مواجهة الكيان الصهيوني الغاصب المحتل للهروب من الموت و تحديه بالخلود و الحياة ، إذ أن شعره مستوحى من واقعه الشخصي أم من المحيط الذي يعيش فيه ، لم يتردد سميح القاسم لحظة في إيصال صوت فلسطين إلى العالم الخارجي و الدفاع عن القضية الفلسطينية في المحافل الدولية الذي كان يحضرها باستمرار لعدم غياب القضية و المعاناة و المأساة ـ التي يعشها الشعب الفلسطيني ـ ، عن أعين العالم ، و ليعرف العالم ما يعانيه الشعب الفلسطيني من قبل الكيان الصهيوني . بين ذلك في قصيدة الذي قتل في المنفى كتب لي

ذات يوم فاجأوني

ودفعوا أمي و أختي جانبا ،

و اعتقلوني

[1] عبد السلام المساوي ، جماليات الموت في شعر محمود درويش ، ص 53 .

.....

كالتماثيل الترابية كانوا

بوجوه فقدت ضوء العيون

يوم جاءوا فجأة ..

و اعتقلوني ..

.....

والدي كان يصلي

لإله الأرض ، في تربة حقل ،

حقلنا الموروث من قبل قرون

يوم جاءوا فجأة ،

واعتقلوني

و بعيدا .. أخذوني . [1]

من هنا نلحظ اتخاذ الكاتب الشعر سلاحا ، لاستعادة الحرية و استرجاع الوطن ، و لتعبير عن الواقع المؤلم الذي كان سببه الكيان الصهيوني .

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص 134 .

المطلب الثاني : معجم الموت :

يتشكل الموت في دواوين سميح القاسم إفراديًا و تركيبيًا بنسبة عالية جدًا ، هذا ما يجعل من قصائده مجسدة لتجربة الموت بحيث أن ألفاظ الموت يلمح أنها طاغية على شعر سميح القاسم من بدايته إلى نهايته ، إذ أن تعدد معجم مصطلحات الموت تؤدي إلى تعدد الدلالات في المعنى التي توافق عليها الرؤية الشعرية في الموت لعلها دلالات تحيل إلى حقول متنوعة و متعددة لها أبعاد معرفية و ثقافية التي تتميز بها القصيدة ، بحيث أن الخلفية التي دفعت بالكاتب إلى الكتابة ليدفع بأشعاره ضد الموت ، منسجمة تماما مع ما يريد إيصاله ، فهو بذلك يلامس الحقيقة و هي الصراع مع الموت و البحث عن الخلود ، نفس رحلة كلكامش في بحثه عن نبتة الخلود .

لقد وظف الشاعر سميح القاسم عددا هائلا من مفردات الموت الدالة على الموت بشكليها المباشر و غير المباشر ، إذ لم ترد قصيدة من قصائده إلا وذكر فيها شكلا من أشكال الموت وبهذا سأقوم بإحصاء لهذا المعجم

المفردات	الصفحات في الأجزاء 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4	عدد المرات
الموت	9 ـ 17 ـ 19 ـ 21 ـ 26 ـ 29 ـ 30 ـ 49 ـ 47 ـ 45 ـ 76 ـ 104 ـ 133 ـ 154 ـ 176 ـ 171 ـ 221 ـ 199 ـ 290 ـ 265 .	20
الموتى	8 ـ 13 ـ 34 ـ 36 ـ 45 ـ 48 ـ 54 ـ 74 ـ 87 ـ 65 ـ 98 ـ 101 ـ 147 ـ 165 ـ 178 ـ 179 ـ 209 ـ 213 .	18
الميت	14 ـ 65 ـ 74 ـ 99 ـ 108 ـ 123 ـ 124 ـ 144 ـ 189 ـ 254 ـ 266 .	11

مات في الأزمنة الثلاثية	36 ـ 39 ـ 56 ـ 87 ـ 79 ـ 81 ـ 84 ـ 85 ـ 91 ـ 94 ـ 106 ـ 148 ـ 193 ـ 220 ـ 243 ـ 286 ـ	16
القيامة ـ الأبدية الآخرة	14 ـ 23 ـ 25 ـ 26 ـ 28 ـ 35 ـ 37 ـ 48 ـ 53 ـ 54 ـ 59 ـ 63 ـ 69 ـ 78 ـ 79 ـ 85 ـ 90 ـ 108 ـ 154 ـ 176 ـ 184 ـ 206 .	22
الأنقاض ـ الجرح	13 ـ 24 ـ 53 ـ 54 ـ 62 ـ 75 ـ 98 ـ 99 ـ 100 ـ 113 ـ 115 ـ 124 .	12
الغياب ـ النهاية	23 ـ 45 ـ 64 ـ 74 ـ 86 ـ 82 ـ 86 ـ 93 ـ 99 ـ 105 ـ 137 ـ 144 ـ 159 .	13
القبر ـ المقبرة	38 ـ 40 ـ 44 ـ 47 ـ 54 ـ 57 ـ 59 ـ 64 ـ 72 ـ 106 ـ 111 ـ 134 ـ 141 ـ 158 ـ 161 ـ 173 ـ 184 ـ 202 ـ 226 .	19
عدم ـ الفناء	76 ـ 80 ـ 88 ـ 96 ـ 91 ـ 94 ـ 98 ـ 124 ـ 135 ـ 187 ـ 186 .	11
قتل	3 ـ 9 ـ 12 ـ 25 ـ 36 ـ 43 ـ 47 ـ 48 ـ 58 ـ 60 ـ 73 ـ 93 ـ 178 ـ 324 .	14
التابوت ـ الجنازة الكفن ـ الدفن	22 ـ 32 ـ 34 ـ 36 ـ 45 ـ 49 ـ 51 ـ 57 ـ 83 ـ 85 ـ 92 ـ 97 ـ 104 ـ 123 ـ 140 ـ 180 ـ 193 ـ 262 .	18
شهيد	23 ـ 34 ـ 45 ـ 47 ـ 57 ـ 59 ـ 61 ـ 64 ـ 68 ـ 69 ـ 90 ـ 165 ـ 87 ـ 194 ـ 205 ـ 206 ـ 213 ـ 249 .	18

ميتم	80 ـ 83 ـ 123 ـ 142 ـ 151 ـ 157 ـ 178 ـ 190 ـ 206 ـ 254 .	10
الرحيل	64 ـ 76 ـ 91 ـ 106 ـ 132 ـ 154 ـ 187 ـ 197 ـ 204 ـ 275 ـ 281 .	11

إذ أن الجدول السابق يمثل رصدا إحصائيا للمفردات الدالة على الموت بصيغتي الترادف و الاشتقاق ، كما يحيل إلى فضاءات عديدة متنوعة و عوالم زمنية و مكانية المرتبطة بالموت و على ما يحيط به من أشياء و طقوس .

إذ نجد هيمنة الموت كاسم حقيقي على باقي التسميات لما تملكه من معجم لغوي متنوع و متعدد وما يلفت انتباهنا عند إحصائنا للمفردات في اغلب قصائد سميح القاسم ، هو ذلك التكرار الذي عرفته قائمة عريضة من الألفاظ و التي تصب جميعها في المعجم الدلالي لتيمة الموت من ترادف و اشتقاق و تصريف أو الدخول في عوالم المساعدة لهذا الفعل ، التي تساعد في رسم الواقع من جهة و تحاول تجسيد الحقيقة من جهة أخرى (الخوف ، الحزن ، الألم ، الليل ، الحرب البكاء ...)

من هنا يمكن للدارس الإحاطة بدلالات المصطلح الذي يأخذ دائرة معجمية كما سبق و ذكرته فالأمر أوسع من أن يتناوله في عدة أسطر لذا حاولت دراسة بعض النماذج المتعلقة بالموت بدلالات و مصطلحات ، إذ حاولت رصد بعض الحقول الدلالية تبعا للتصنيف التي خضعت لها المفردات التابعة للموت :

- مفهوم تجريدي للموت " الموت ، الموتى ، الميت ، مات ... " .
- مفهوم ديني ما بعد الموت " القيامة ، الأبدية ، الآخرة " .
- عنف الموت " الأنقاض ، الجرح " .

- حصاد الموت " الغياب ، النهاية " .
- تجسيد مكان الموت " القبر ، المقبرة " .
- مفهوم فلسفي للموت " عدم ، الفناء ".
- مفهوم مادي لفعل الإماته " قتل " .
- طقوسية المأتم " التابوت ، الجنازة ، الكفن ، الدفن " .
- مفهوم إيديولوجي للموت " شهيد " .
- مفهوم اجتماعي " ميتم " .
- مفهوم مجازي للموت " الرحيل ... " .

" تنوعت الحقول هنا و تعددت ، فهي حقول تتراوح ما بين التكامل و التعارض ؛ التكامل يتحقق مع فعل موت الجسد و ما يحيطه من طقوس التي تساند عادات و تقاليد المجتمع في حالة الجنازة و ما يلومها من تجهيزات للميت ، لتكون جنازة حسب العرف الاجتماعية المعتمدة كالكفن و التابوت و الجنازة ، القبر ..."[1]

أما التعارض ،فقد نشأ بين بعض المصطلحات من بين الحقول الدلالية التابعة لمفهوم الموت ، مثل التعارض الموجود بين المفهوم التجريدي للموت (مات) و المفهوم المادي للفعل (قتل)، أو بين المفهوم الديني الذي يكون عليه بعد الموت (القيامة ، الأبدية ، الآخرة) و المفهوم الفلسفي (العدم ، الفناء) .

إلا أننا عند تصنيفي للحقول الدلالية ، والعلاقات القائمة بين الحقول لا يمكنها أن تعطيني إيحاءات لبعض المفردات ، فتكون هناك تعارضات بين المدلولات و يكون هناك تفاوت في المعنى الذي يتقاطع مع الحياة و الموت في معجم الموت .

[1] ينظر : عبد اليلام المساوي ، جماليات الموت في شعر محمود درويش ، ص 61 .

إذ على المستوى التركيبي ، فإن الشاعر يستخدم عدّة أساليب التي تمكنه من إيصال فكرة الموت بالشكل الصحيح بحسب ما يختلج صدره من ألم و حسرة و معاناة تؤدي إلى طلب الموت و التعبير عنه لما يقتضيه المقام لتعبير عن ذلك ، إذ نجد أسلوب النداء و الأمر لإعطاء العبارة إحّاء له معنى ، و قد نجد في استخدام الشاعر الأساليب الإنشائية فهي توجيه للموت الذي تطلبه الذات و تبحث عنه و قد تجتمع عدّة أساليب إنشائية (كالنداء ، الأمر ...) في فقرة شعرية واحدة ، ذلك دليل لتأزم الذات و معاناتها و لحظة حصارها النفسي ، قد جاء في قصيدة رحلة السراديب الموحشة :

يا موت ا كيف اتنتها ؟

يا موت ! كيف عرفتها

يا موت !

هل اعطتك وصف طريقها هذه البيوت ؟!

حلت ظفيرتها عليه

و بكت .. وكان بكاؤها

يأتي و يصعد غارقا في الدم ، من كل الجهات

فالحزن تعرف سره و طريقه كل اللغات ... [1]

و بهذه التراكيب يُقدم الشاعر على مجادلة الموت و سؤاله للاستفسار عن إذا ما اكتفت بما فعلت أم لا ، فهو يشتكي له ، و منه فهو يتوسل له بطريقة ما لكي يتريث في إنجاز مهامه إلا أن هذه الطريقة تتغير فيها بعد ، فهو يسخر منها حينا و يعاتبها حينا آخر و هكذا كانت قصة الشاعر مع الموت في ندائه و أمره ، إذ جاء في قصيدة الموت في الغربة :

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص 431 ـ 432 .

يمر القطار بركابه المتعبين

يمر بأحماله المرهقة

يمرّ

يمرّ

يمرّ

و نافذة الميت المغلقة

تؤدي تقاريرها للستائر

و يمضي مسافر

و ينفجر البرق بين المداخن

عبر النوافذ

تحت الجسور

على بصمات الأصابع ، فوق

على جثة الميت اليابسة

وقبضته البائسة

تغض الحديد المطعم بالثلج [1].

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 2 ، ص 30 .

فالشاعر هنا يقف على التراكيب الإخبارية ليثير الشفقة و الاستعطاف ذلك بسبب ما حرم منه في حياته ، فالذات في كامل قوتها و هي تحصي ألم الحياة و معاناتها ، فالمعجم الشعري للموت هو الوقوف على المرجعيات المتنوعة التي تعكس معاناة الشاعر و شعبه و ثقافته ، المستخدمة من أساطير و ديانات و غيرها ... ليكون في المستوى المطلوب للمواجهة المعرفية و الفنية للموت .

المطلب الثاني : التناص :

قبل حديثي عن التناص كمفهوم أدبي ، يجب عليا الرجوع إلى مرجعيته اللغوية .

فالتناص مصطلح له جذره اللغوي و هو نصص ، إذ تناول أصحاب المعاجم اللّغوية ، مجموعة معاني توضح هذا الجذر ، إذ جاء في معجم لسان العرب لابن منظور في مادة ن . ص. ص

" النص : رفعك الشيء . نص الحديث ينصه نصا ، رفعه و كل ما أظهر فقدّ نص ، و قال عمرو بن دينار : ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري : أي أرفع له و أسند ... و نص المتاع نص: جعل بعضه على بعض و النص : التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها ، ... و النص : الإسناد إلى الرئيس الأكبر و النص التوقيف و النص التعيين على شيء ما ". [1]

إذ أن الجذر نصص هنا له عدّة دوال و معاني متقاربة و تنتمي إلى حقل دلالي واحد .

مفهوم التناص ورد عند العرب القدماء و لكن بمفاهيم أخرى منها " الموازنة ، الاقتباس ، التضمين السرقات ... " فهذا ما يدفعنا إلى عدم التقليل من تراثنا الشعري و النقدي .

جاء التناص في مفهوم محمد مفتاح **" إما أن يكون اعتباطيا يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي ، و أما أن يكون واجبا يوجه المتلقي نحو مظانه ، كما أنه قد يكون معارضة مقتدية أو ساخرة أو مزيجا بينهما ، و سواء ارتكز الباحث في دراسته على الذاكرة أو على المؤشرات و مهما كان نوعه ، فانه لبس مجرّد عملية لغوية مجانية و إنما له وظائف متعددة تختلف أهمية و تأثيرا بحسب مواقف التناص و مقاصده ."** [2]

فالتناص الاعتباطي هو ما كان راسخا في ذاكرة الكاتب في المراحل الأولى لكتاباته منذ فترة ، فقد يحضر في شعر الكاتب بصورة عفوية لم يدرك الشاعر ذلك التناص . وقد يتمكن المتلقي من

[1] أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1990 ، ص 97 ـ 98 مادة (ن . ص . ص)

[2] محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) ، المركزي الثقافي العربي ، ط 1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1985 ، ص 131 . 132

إبرازها و تفسير وظيفته الشعرية الجمالية ذلك من خلال السياق الذي وردت فيه ومع ما يجاوزها من مكونات فنية ، و التناص الواجب هو ذلك التناص المعتمد أي المقصود من قبل الشاعر أو المبدع وقد تم الاعتماد عليه لخدمة النص الشعري و إعطائه بعدًا جماليًا و دلاليًا .

مصطلح التناص أول ما ظهر ، ظهر مع جوليا كرستيفا : Julia Kristeva ، 1966 في كتاباتها ، و قبلها تطرق إليه ميخائيل باختين : Mikhail Bakhtin ، بمصطلح الحوارية كدلالة على تقاطع النصوص و الملفوظات في النص الروائي .

تبنت البنيوية الفرنسية و بعض الاتجاهات كالتفكيكية و السيميائية ، التناص في كتابات جوليا كرستيفا و رولان بارت و تودوروف ... .

لايهم في هذا المحور الحديث عن التناص أو نحصد له تعاريف مختلفة ، سال فيه الكثير من الحبر من قبل النقاد و الدارسين الألسنيين و غيرهم .

1 ـ تجليات التناص في شعر سميح القاسم :

أ ـ التناص الأسطوري : يعد سميح القاسم من الذين اعتمدوا على تراث الأمة العربية ، و غيرها من الأمم الأخرى ، إذ أن هذا التراث شكل موروثًا فكريا ثقافيا ، فنيا متعددا و متنوعا ، أدبيا و تاريخيا و دينيا ... حيث أن الشاعر استلهم منه ما يناسب شعوره ، و حالته النفسية ، منه تمكن من المزج بين الحاضر و الماضي .

فيتمثل هذا الموروث الشعبي في أساطير و قصص و حكايات و أمثال شعبية ، الذي من خلاله تم إبراز المواقف التي توافق نظرته للحياة .

تحفل قصائد سميح القاسم بالإشارات الأسطورية ، إذ أن أغلب الأساطير التي استحضرها في شعره هي أساطير تتناول قضية صراع الإنسان مع الموت ... " **وبرزت الأسطورة في تشكيلاتها**

و تنويعاتها المختلفة بصفتها أحد عناصر البناء الشعري في قصائده و تراوح بروزها بين الإشارة المركزة المكثفة و التلميح تارة ، و استخدامها كخلفية شعورية للنص تارة أخرى."[1]

المصادر الأسطورية كانت متنوعة متعددة بحيث لم تقتصر على ما عرفته الأمة العربية إذ أن تجاوز ذلك إلى ما عرفه التراث البشري أجمع " **فالأسطورة بفعل التطور قد استحالت الى أخيلة يستمد الشاعر المعاصر رموزه منها ليمنح قصيدته بعدًا إنسانيا عاما ، و هي اقرب إلى أن تكون جمعا بين طائفة من الرموز المتجاوبة يحسم فيها الإنسان وجهة نظر شاملة في الحقيقة الواقعة ، و هذا التجاوب بين رموز الأسطورة لا يمثل علاقات واضحة و منطقية بينها و إنما هي في الغالب علاقات جدلية ."** [2]

فالأسطورة تزود الإنسان بذاكرة تخيلية تاريخية تعطيه إحساسا بوجود حافزٍ للفرح و العيش و مقاومة الموت و بدون هذا الخيال يصبح الإنسان أشبه بالموت " **لان نسيان الماضي هو نوع من أنواع الموت ، فالموت نسيان ، و الموتى الهابطون إلى العالم الأسفل ، في الميثيولوجيا الإغريقية يشربون في طريقهم من نبع النسيان لكي يقضوا حياة الآخرة بدون ذاكرة لذلك فالإنسان الذي وجد نفسه في مواجهة الموت ابتكر نسقا أسطوريا اعتمادا على ملكاته الوجدانية و العقلية و اللاشعورية ، من أجل مواجهة كل الاحتمالات ، فكان أن عالج احداثا مجهولة المصير الذي ينتظره بطرح معلوم يمكن من بسط الحقيقة الكونية على نسيج رمزي قادر على الإقناع ."** [3]

فنسيان الماضي هو نوع من الموت إذ أن هذه الأفكار من وحي الأساطير لا غير .

---

[1] باسل محمد علي بزراوي ، سميح القاسم دراسة نقدية في قصائده المحذوفة ، د : عادل الاسطة ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، 2008 ، ص 220 .

[2] عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر (قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية) ، دار الفكر العربي ط 3 ، 1978 ، ص 174 .

[3] عبد السلام المساوي ، الموت بين الأسطورة و الفلسفة . ينظر الرابط :

www.alhayat.com

17 - 02 - 2016 الساعة 20 : 23

احتفت قصائد سميح القاسم بالأساطير احتفاء ملفتا للنظر و بطريقة مبهرة ، هذا ما تميز ت به أغلب قصائده ، إذ أن الأسطورة بالنسبة له هي مطلب روحي للتخلص من الألم و المأساة التي يعيشها بشكل دائم ويحاول التخلص منها ، فهي لحظة التعبير عن اللحظات التغريبية التي يحسها رغم أنه في وطنه ، لكن يبقى الوطن مسلوبا وهذا ما يدفع به إلى الشعور بالغربة و الوحدة فقد حاول التعبير عن حرمانه بكتاباته و بنفسية متألمة ثائرة على كل أنواع الاستلاب و القهر و البطش .

من بين الرموز الأسطورية التي اعتمدها سميح القاسم في دواوينه أسطورة تموز* ، إذ نجد أسطورة تموز في قصيدة عمامة للملوك طربوش للأغا و قداس لبيروت الذي يبدأها بلسان راوي :

لا خبر غير وداعة الأموات

وليكن الأدام

ولا شك على الأحداق خلف الدمعة المتحجرة

و لك المجاعة والسلام

يا أسرتي المغلوبة المتكبرة

القمح هذا العام منذور لحرب جلالة السلطان

حسب المؤمنين رضا جلالته وعد بالبذر

ولجنده لبن القطيع و لحمه

* اله الماء و المحاصيل كان كل عام يموت ثم يعود إلى الحياة من جديد .

و لخيله ذهب الخلايا الخيرة . [1]

مزج سميح القاسم منا بين شخصية تاريخية و هي شخصية السلطان ، و من بين الرمز الأسطوري تموز ، إذ أن تموز في حقله الدلالي يشير إلى الموت .

و نجده في قصيدة أخرى يستحضر التناص الأسطوري كرمز أسطوري و هي عشتار إلهة الحب و النماء و حسب ما جاءت به الأسطورة فان عشتار هي حبيبة أدونيس ، حيث تحول دمه إلى وردة ، **حسب شقائق النعمان كانت نتيجة موت أدونيس حبيب عشتروت أخذت كأسا من كوثر الألهة وصبتها على دم أدونيس الجميل فغلى الدم تحول دم أدونيس إلى زهرة الشقيق و منذ ذلك اليوم صارت الوردة الحمراء رمزا للحزن على أدونيس الجميل . "**[2]

كما وظف الشاعر سميح القاسم أسطورة عشتروت ؛ هي تمثال أفروديت اليوناني إذ يرمز سميح القاسم هنا إلى بيروت ، بيروت المقاومة ، بيروت التي احتضنت اللاجئين الفلسطينيين ، كما كانت تعرف عشتروت بشخصيتها الحربية ، كما جاء في قصيدة عمامة للملوك طربوش للأغا و قداس لبيروت :

بيروت

قومي من رمادك يا ابنة العنقاء

عشتاروت

يا بيروت

يا بنت مدللة

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 3 ، ص 353 .

[2] ينظر : ناهدة احمد الكسواني ، تجليات التناص في شعر سميح القاسم مجموعتا " أخذة الأميرة يبوس " و " مراثي سميح " أنموذجا ، مجلة قراءات مخبر وحدة التكوين و البحث في نظريات القراءة و مناهجها ، بسكرة ، الجزائر ، 2012 ، عدد 4 ، ص 12 .

تصيح بحزنها الدموي

أرملة تصيح

أنا أنا جمل المحمل

و أنا أنا جمل المحامل !! [1]

كما وظف سميح القاسم أسطورة أيل * ، و أيل هو الوحيد بين الآلهة يوصف بالملك الذي لا يحدث شيئا إلا تم الرجوع فيه و أخذ موافقته و قد تم توظيف أيل بهدف أنه مقتدر و قادر على أبعاد الاحتلال عن القدس و فلسطين القلب النابض للفلسطينيين يقول في أخذة الأميرة يبوس :

إلى سيد عشاق يبوس

ملك الحنطة و الناموس

ضع وردا تحت خطاها الصاعدة

إلى ملك الكلمات

يا أيل المقتدر على الرغبات

مر و لبن و بخور

وحدائق نور يا أيل القدوس

صرف قلب يبوس

من سين الساحر

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 3 ، ص 358 .

* أب الأجيال الآلهة و يلقب باب البشرية .

حتى سين المسحورة و المسحور .[1]

فهو تعمد استعمال الاسم الأسطوري أيل ليبث فيها دلالاته الموروثة بمضامين معاصرة حديثة تعبر عن نفسيته

ب ـ التناص الديني : تعدد وتنوع التراث الديني في العالم كما تعددت دلالاته و تنوعت مصادره اتخذ مصدرا إلهاميا في الكتابة لما يحمله من معاني و دلالات لغوية .

نجد سميح القاسم من بين الشعراء الفلسطينيين المعاصرين الذي اعتمد على التناص الديني في شعره ، فهذا إن دل على شيء فهو يدل على تأكيد القضية الفكرية ، و الأهم القضية الفلسطينية " **لقد وجد بعض الشعراء الفلسطينيين المعاصرين في الموروث الديني ما يعينهم على تأكيد قضاياهم الفكرية ، و قيمهم الروحية ، فيما يتعلق بقضية الصراع العربي الصهيوني ، و تعميقها في وعي المتلقي ، و منحها بعدًا شموليا ، لذلك أولى الشعراء الفلسطينيون اهتماما كبيرا بالمعطيات الدينية التي تتعرض لليهود و جرائمهم ، وكذلك استغلوا من الموروث الديني المواقف الثورية التي وقفت في وجه الظلم والقهر ، وقد كانت شخصيات الأنبياء و الرسل من أكثر الشخصيات الدينية حضورا ؛ لثرائها الدلالي و قدرتها على حمل أبعاد التجارب المعاصرة ، و قربه من معاناة و هموم الشاعر المعاصر .**" [2]

فالشاعر هنا حاول في هذا التناص الديني الربط بينه و بين القضية الفلسطينية ذلك لتأكيد قضيتهم الكبرى ، تحرير فلسطين و طرد الكيان الصهيوني ، كلما استحضر مواجع الشعب الفلسطيني إلا و استحضر اقتباس أو تناص ديني لإدماجه مع جرائم الاحتلال ، و لدعم أشعاره استحضر قصصا لبعض الأنبياء ،و كيف كان صمودهم و صبرهم و تحملهم الشدائد ، ليأتي بعد

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 3 ، ص 386 .

[2] حسن البنداري و آخرون ، التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر ، مجلة جامعة الأزهر ، سلسلة العلوم الإنسانية ، غزة ، فلسطين ، 2009 ، المجلد 11 ، العدد 2 ، ص 247 .

ذلك الفرج ، فهو بهذا يرفع من معنويات الشعب الفلسطيني و يقويه بالصبر و العزيمة و الإرادة لاسترجاع الحرية و ضرورة الاستقلال و طرد المحتل الغاصب .

فالشاعر سميح القاسم استلم في شعره بعضا من معاني القرآن كما اقتبس بعض الآيات القرآنية و قد يكون هناك اقتباس بعضا من الكلمات و تعدد دلالتها و إعطائها معنى جديدا أو يدع القارئ يفهمها كما يشاء ، نجد هذا النوع من التناص في بعض من أشعار سميح القاسم :

يا أهل الحمى المتوترة كالقبضة اليائسة

أعيروا الغريب قميصا ليستر عورته ريثما

و ما راح تقمص بالأمس نهرا فجاوت خيول مجنحة

شربت نهره ، فاكتوى ساغبا لاغبا و اكتوى . [1]

في هذا المقطع يوجد تناص مع قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، ذلك في لفظة القميص المقتبسة من قصة سيدنا يوسف و التي مبناها أن يوسف أعطى إخوته قميصه بعد أن أخبروه بأن أباهم شيخ كبير وضرير ، فأعطاهم القميص الذي سيعيد البصر لأبيهم الضرير، فلفظة القميص اقتبسها من القرآن و التي المبنية على رؤية يوسف و نبوته ، كما اتبع فيما بعد في القصيدة مقطعًا يذكر فيه :

طبيب العيون ، وهذا ما يخص أبا يوسف فقال :

فماذا يجيء غدا يا طبيب العيون

فماذا يجيء غدا

[1] سميح القاسم ، مراثي سميح القاسم ، دار الأسوار ، د ط ، عكا ، 1973 ، ص10 .

فماذا يجيء [1]

فهذا المقطع يمكن إيصاله مع المقطع الذي سبقه ليتمم بذلك أحداث قصة سيدنا يوسف وفي **كل مرة تكون المقاطع مترابطة لإعطاء معنى و فكرة للقصيدة و لأداء معناها أو غرضها**

فان لم ..

فلا كيل . [2]

وهنا وصلة كذلك لربط هذا المقطع مع ما سبقه من مقاطع لإتمام المعنى ففي هذا المقطع حادثة الكيل التي و ردت في القران في سورة يوسف قال تعالى :□ گ ڳ ڳ ڱ ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ □ [3]

فمن هذه الآية نجد تناصا مع قصة سيدنا يوسف و قصة الكيل مع إخوته ، اقتبسها الشاعر في شعره لإعطائه بعدا فنيا و إيصال فكرته بطريقة صادقة و صحيحة و ذلك من خلال قصص الأنبياء في القرآن الكريم .

و من هنا نستنتج أن سميح القاسم ، تأرجح بين مفهومين للموت ، عبر مشواره الشعري ، و ذلك بتمجيد الموت بكونه عرسًا للشهيد و دافعًا لاسترجاع الوطن المسلوب و الهوية المضطهدة و الثاني تقريب الموت من مصيرها ، ليتيح له التأمل في هذه اللحظة ، بحكمة و فلسفة .

وذلك ما يتبن لنا من خلال قصائده ، التي اعتمدت في الدراسات من كل المجالات و بصفة عامة .

---

[1] سميح القاسم ، مراثي سميح القاسم ، ص 10 .

[2] المصدر نفسه ، ص 10 .

[3] سورة يوسف ، الآية : 58/ 59 .

و من هنا نستنتج أن سميح القاسم ، تأرجح بين مفهومين للموت ، عبر مشواره الشعري ، و ذلك بتمجيد الموت بكونه عرسًا للشهيد و دافعًا لاسترجاع الوطن المسلوب و الهوية المضطهدة ، و الثاني تقريب الموت من مصيرها ، ليتيح له التأمل في هذه اللحظة ، بحكمة و فلسفة .

وذلك ما يتبن لنا من خلال قصائده ، التي اعتمدت في الدراسات من كل المجالات و بصفة عامة .

الفصل الثاني : الرؤيا الشعرية لجدلية الموت و الحياة

المبحث الأول : الرؤيا الشعرية للموت .

المطلب الأول : جدلية الوجود و العدم .

المطلب الثاني : جدلية الاغتراب و الموت .

المبحث الثاني : الرؤيا الشعرية للحياة .

المطلب الأول : جدلية الحلم و الواقع .

المطلب الثاني : جدلية الكتابة و الحياة .

المبحث الأول : الرؤيا الشعرية للموت .

حاول سميح القاسم من خلال شعره التوفيق بين الجدليات ، التي اعتبرت أساس الجدل القائم بين الموت و الحياة ، و التي من خلالها يعمل الشاعر على إيصال معاناته ، و معاناة وطنه المسلوب لكونه لسان شعبه ، فهو يحاول أن يذلل الصعاب و يكسر حاجز القهر و الألم و الموت ، و الظلم ليخلق معبرًا للحياة و الأمل للأحياء من جديد و بزوغ شمس الحرية .

المطلب الأول : جدلية الوجود و العدم :

الوجودية تعد تيارا يميل إلى الحرية المطلقة في التفكير بدون قيود ، كما أنها تأكد على تفرد الإنسان إذ يصاحبه تفكير و حرية و إرادة و اختيار .

فهي تقوم على مبدأ أن الإنسان كفرد يقوم بتكوين نفسه و إعطاء معنى لحياته .

ظهرت الوجودية نتيجة القلق الذي كان مسيطرا على أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى و الحرب العالمية الثانية و كان سببه هو الفناء الشامل " **توصف الوجودية بأنها حركة ثقافية انتشرت بين الثلاثينيات و الأربعينيات من القرن العشرين ، يلتبس مفهوم الوجودية على الكثير من رجال الشارع و حتى على بعض المثقفين ، لان المصطلح غامض و ليصبح أسهل يجب أن نربطه بالأدب ، لأن منشيء المصطلح هو الأديب جان بول سارتر و قد أنشأه و هو في المقاومة الفرنسية إبان الاحتلال النازي في الحرب العالمية الثانية حيث كثر الموت و أصبح الفرد يعيش وحيدا و يشعر بالعبثية ، أي عدم وجود معنى للحياة ، فأصبح عند الفرد حالة تسمى القلق الوجودي و في الحرب العالية الثانية فقد الإنسان حريته و أصبح لا بشعر بالمسؤولية**

و نشأ شعور باليأس ، و سبب هذا القلق هو الفناء الشامل الذي حصل نتيجة الحرب و الذي يسمونه العدم "[1] .

من هنا دعى الإنسان إلى الاهتمام بالواقع و أن يبرز قيمة وجوده في الحياة بنظرة وجودية في الوجود و العدم .

الوجود يأتي بالولوج إلى التجربة الوجودية الداخلية و مع معايشة الواقع وجدانيا و ليس عقليا ، و منه تم إبراز المعاني التي يقوم عليها الوجود الإنساني من عدم أو فناء أو موت أو خطأ .

" فالقلق الإنساني المتزايد و التفكير الدائم بالموت عند بعض الفلاسفة الوجوديين الذين يؤمنون بانتهاء الإنسان إلى العدم ، حيث لا بعث ولا حساب ، قد كان الهاجس الخانق الذي استحوذ على أفكارهم ، و جعلهم يرتعدون خوفا من غموضه ، بينما كان الموت عند المؤمنين بالآخرة و بالبعث و النشور ، انتقالا من مرحلة إلى مرحلة ، فالحياة بالنسبة لهؤلاء كانت جسرًا يفضي إلى الآخرة " [2].

وهذا ما يتجسد لنا في شعر سميح القاسم إذ تتضح جدلية الوجود و العدم ، فالشاعر حاول إدخال نفسه لإيصال تجربته المؤلمة مع الحياة ، التي بدورها أخذت منه السعادة لتعيه مقابل ذلك الحزن و الألم والمعاناة ، التي تقاسمها مع أبناء شعبه ، قد وضح سميح هذه الجدلية في بعض من قصائده ، و منها قصيدة دفقه الأجيال :

تراشقنا بهجر اللفظ أعواما على أعوام

نهرنا السائل المحروم

[1] ينظر الرابط :

https://ar.wikipedia.org/wik

25 ـ 04 ـ 2012 الساعة : 02 : 20

[2] متقدم الجابري ، هاجس الموت في شعر صلاح عبد الصبور ، مجلة الأثر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، دت ، العدد 10 ، ص 257 ـ 258 .

قهرنا تعس الأيام

ودسنا زهرة الأزهار .. دسناها

و فتناها

مدماة .. معراة .. على الطرقات

فيا قمرًا من الفسفور

أخفي تحته الأموات

تمرغ في تراب الحزن

واشرب نخب من يحبون أطلالا بدون حياة .[1]

سميح القاسم عايش الوحدة و اليأس كما عايش العبثية ، حيث أنه عبر عن الإنسان الضائع الذي يعد لأفكاره و سلوكاته معنى في الحياة ، فقد يقوم باسترجاع أفكاره لأنه فقد القدرة على رؤية الأشياء على طبيعتها ، ذلك لرغبة الآلة في السيطرة على الحياة ، ليكون الإنسان في خدمة الآلة .

فهو يعاني قلقًا و جوديًا وهذا ما نجده في قصيدة ازوريس الجديد .

أنا و السيول المستميتة

مذ كانت الأمطار و الأحزان و الشمس العنيدة

نحيا على جرف النفايات المقيتة

و نعد للدنيا الجديدة !

أنا والسيول المستميتة

[1] ديوان سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة، ج 3 ، ص 491 ـ 492 .

في سفرة لا تنتهي .. حتى نعيد إلى الحدائق

حسونها المنفى .. و الجذر المترمد في الحدائق

حتى يشب اللوز و الزيتون و التفاح

في جرح الخنادق . [1]

من خلال هذه القصيدة حاول سميح القاسم الإفصاح عن ما يحزن نفسه ليعطي معنى للحياة و الوجود الذي أراد أن يكون عدمًا .

أراد سميح القاسم أن يكون حرا ليكسر الأغلال و القيود الداعمة للعدم و ليخرج إلى النور و بذلك يثبت وجوديته و يحرر نفسه من الألم و الحزن واليأس الملازم له .

حاول سميح حل مشاكله بنفسه و بإرادته و حريته ، أراد أن يكون ذاته ، ذلك بالسير في طريق هو أراد السير فيه .

إذن جدلية العدم و الو جود تتجسد في أن الإنسان مؤمن بوجوده الإنساني ويتخذ من نفسه منطلقا لكل فكرة يراها باعتبار أن الإنسان هو مجرد عدم .

الوجود يسعى إلى إعادة الاعتبار الكلي للإنسان ذلك بمراعاة تفكيره و حريته وطبائعه وطوعا لمشاعره .

من العدم جاء الوجود ، إذ اعتبر أن العدم هو أصل الوجود ، إلا أن أغلبهم لم يعلموا كيف يتحول العدم إلى وجود ، و لهذا ستظل فكرة العدم و الوجود معقدة و مجهولة .

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص 573 .

المطلب الثاني : جدلية الاغتراب و الموت :

الاغتراب موجود في كل المجتمعات و في كل الثقافات و في جل المجالات فله علاقة اتصال بالإنسان . الإنسان الذي فقد روح التناغم و البهجة في حياته ، إذ ما من أحد لم يعاني من هذا الاغتراب الروحي ، ذلك من خلال الظروف التي فرضتها السياسة خاصة في المجتمعات .

لعل الاغتراب ناتج عن عدة ظروف كانت لها صلة وثيقة به ربما من وضع الفرد الذي يعيشه في المجتمع عدم الانسجام و الهروب من الواقع برفض القوانين السائدة ، و قد يكون من خلال إرهاق الفرد لنفسه و انغماسه في الشعور بالقهر و اليأس و الانطواء ، و لعل الظروف هي من أجبرته على الإحساس بذلك بدون إرادته و يكون هو قاصر .

" فلسفة الموت و الاغتراب أو التشاؤم ، تخرج بها من الأطراف الفيزيائية و النفسية إلى موقف يعيد إنتاج معادلة الواقع و تقديم واقع بديل من خلال النص الأدبي أو الفني ، و من خلال النص هذا يجد القارئ جوابا على بعض الأسئلة "[1] .

عندما تؤدي الحياة إلى الموت يتحول الموت إلى الحياة .

من هذه النقطة الفيزيائية المعكوسة و التي تعد فرضية للبحث في سمات الطبيعة منها المنحطة فالقصيدة تعد بمثابة رفض للانحطاط الذي نعايشه في الواقع ، إذ ظهرت في أوروبا تيارات رافضة للواقع المنحط ، واقع خارج المنطق ، أما في الأدب العربي وجدت أفكار و فلسفات تتحدث عن ذلك .

هناك العديد من التيارات الغربية كانت رافضة لفكرة الحرب و الدمار الذي أثر في نفسية الشعوب أما بالنسبة للعرب فكانت الحروب دلالة على البطولة و الإقدام و تخْطي بالتهليل و

[1] وديع العبيدي ، الموت و الاغتراب في قصيدة بن يونس ماجن ـ حياة داخل الموت
http://www.jamaliya.com/ShowPage.php?id=12596
15 ـ 04 ـ 2016 الساعة : 16 : 16

بمساحة في تراثنا العربي ، إلا أن هذه الحروب كان لها جانب سلبي في نفسية الشعوب مما يدفعهم إلى التشاؤم و الإحباط .

كان على الشاعر العربي أن يعايش واقعه كما هو بما يحتويه من معاناة و ألم و قهر ، هذا ما دفع إلى الاغتراب ، الموت البطيء و هذا ما نجده مجسد عند الشاعر الفلسطيني ، ذلك لما تعيشه بلده و أبناء شعبه من معاناة ، فكان عليه أن يكشف عن أدواته الفنية التي سيواجه بها واقعه الأليم ، ليعبر عن موقفه ، و موقف شعبه من الواقع و ليبين رؤيته .

" من مبادئ الحداثيين العرب المعاصرين ، الهروب من الواقع الذي يعيشه الناس و الارتماء في أحضان التيه و الأوهام ، ثم لا يبالون بعد ذلك أين تلقي بهم الريح " [1]

لعله موقف ثوري قائم على رفض الاحتلال الصهيوني و الدفاع عن الحرية و الاستقلال الذي به يجد التناغم و الانسجام الروحي . هي رؤية ثورية تسعى إلى إلغاء كل عناصر الواقع و مبادئه المقتنع بها ، ليتطلع بعد ذلك إلى بناء واقع جديد يتلاءم و روح الشعب الفلسطيني . جاء في قصيدة مزامير

مزمور بقايا فلسطين

من هنا

من مطهر الأحزان في ليل الجريمة

أيها العالم ، تدعوك العصافير اليتيمة

من هنا من غزة الموت ،

ومن جنين ، و القدس القديمة ..

أيها العالم ندعوك

فرد الغاز ، و النايالم ، والأيدي الأثيمة !

[1] عبد العظيم إبراهيم محمد المعطي ، الحداثة ... سرطان العصر أو ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث ، مكتبة الوهبة ، ط 1 ، القاهرة مصر ، 1994 ، ص 30 .

هللويا ..

.....

ذات يوم

كان في غزة صبرا و حنين

و فلول من أناس طيبين

ذات يوم ، كان مال حزين

يشعل النكبة غي كل خيام اللاجئين .[1]

هنا تحدث سميح القاسم عن معاناة الشعب الفلسطيني ، تحدث عن آلامه البائسة و عن الظروف القاسية التي يمر بها شعبه بسبب الاحتلال الغاصب ، فهي ظروف جعلت منه شاعرًا متشائمًا بائسًا يحاول الهروب من الواقع بشعره .

رغم أن الشاعر تعرض إلى المنفى إلا انه لم يغادر وطنه و بقى متمسكا به إلى حين وفاته ، فهو لم يغترب جسديا ، بل اغترب روحيًا ، جراء أوضاع الاضطهاد التي وضعها الاحتلال الإسرائيلي .

" و لثنائية الموت و البعث تجلياتها المتعددة على امتداد تجربته وهي تجليات أشبه ما تكون بألوان قوس قزح ، تبدو مختلفة ، و لكنها شديدة الصلة فيما بينها ، ملتحمة معا لتعبر في نهاية الأمر عن رؤية الشاعر في قلقه الوجودي ، أو القلق الوجودي لإنسان العصر و في رغبة الشاعر الملحة لتجاوز الراهن العربي لحالة عقم الانتظار الطويل ، و استحالة المعرفة ، للمضي قدما على دروب الحياة الحقيقية "[2] .

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص 136 .

[2] أحمد موسى الخطيب ، ثنائية الموت و البعث في تجربة خليل الحاوي ، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية ، جامعة البترا ، عمان ، الأردن المجلد 23 ، 2015 ، العدد 1 ، ص 4 .

تجربة الشاعر كانت صعبة يلفها الغموض و الاغتراب الروحي ، إذ أن الشاعر عاش مهمومًا و حزينًا ناجى الموت للخلاص من الألم و الوجع المتربص به .

فقد حاول تغيير الواقع في فلسطين ، و راهن على أن الإنسان الفلسطيني اقرب من الموت على عكس الحياة ، راوده حلم البعث و الموت كما راوده حلم تغير الواقع ، بإزالة فكرة الموت ، كان لحلمه بعدا أراد تحقيقه فعلاً في أرض الواقع بين رؤيا تشاؤمية صادمة و قاهرة للذات ، وبين رؤيا تريد تحدي الأولى و لا تريد الاستسلام لها . جاء في قصيدة الموت يشتهيني فتيا :

تعبر الريح جبيني

و القطار

يعبر الدار ، فينهار جدار

بعده يهوي جدار

وجدار بعده يهوى ،

و ينهار جدار ...

تعبر الريح جبيني

و يميد البيت بالضجة ..

آه . أنقذيني

إنني أسقط يا أمي

تعالى .. أنقذيني

إنني أغرق في قاع المحيط

وكلاب البحر من حولي

ومن حولي يدور الإخطبوط

و أنا أعلم أن الموت

يا أمي

فتيا يشتهيني

فتعالي ... و اشتريني ..

أنقذيني ،

أنقذيني !! .. [1]

حاول سميح القاسم بكل قواه الالتزام بالقضية الفلسطينية ، فهو يجد في التعبير عن معاناة شعبه فهو بذلك يدفع بنفسه إلى الاغتراب و التشاؤم وليس بعيدا ليعد إلى التفاؤل و المقاومة و عدم الاستسلام للموت و للحزن ، بقاءه صامدًا مقاومًا لكل أنواع الظلم و البطش .

الاغتراب له عدة أنماط يأتي بها ، فهو متعدد و متنوع بتنوع حالاته و ظروف الشخص الذي يكون قد مر بها أو يمر بها ، إذ نجد الاغتراب النفسي و الاجتماعي و السياسي و غيره فهو مرتبط بأي شخص ، و مرتبط بأي روح .

و متجسد بصورة جلية عند الشاعر سميح القاسم ، ذلك لما عايشه من ظروف قاسية مأساوية أجبرته على الهروب من الواقع جعل من الاغتراب ملجأ لنفسيته المغتربة التي تتحدى و تصارع الموت . الموت المحتوم . ففي قصيدة الخوف ، يقول الشاعر سميح القاسم :

تزقزق باسمي عصافير غابتك الوادعة .

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص 143 .

تناديني .. هل أفيق ؟

أخاف يفاجئني الموت في النوم

لا لن أنام

سأسهر حتى الصباح في الصديق

و أرصد في وجهك النائم

هو الفجر

أحكم دفء الغطاء عليك

و أنسر قطا أليفا

خفيفا على قمة العالم

أهيئ قهوتنا الرائعة

أخف إليك

أقبل راحتك الهاجعة

و أهتف : هيا أفيقي

نهار السعادة يا سبب العمر .. هيا أفيقي

بدونك ما من غروب

بدونك .. ما من شروق .. [1]

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج 2 ، ص 318 ـ 319 .

فالشاعر هنا في هذه القصيدة يحمل رؤيتين متناقضتين يحاول من خلالها التعبير عن مشاعره المتألمة.

- الرؤية الأولى : فهي روح تحمل في طياتها التشاؤم و العبثية و رفض الواقع بكل ما يحتويه و على جميع الأصعدة ، فهي رؤية نابعة من نفسية الشاعر الحادة .

- الرؤية الثانية : فهي رؤية تفاؤلية تسعى إلى تحدى الواقع و ازدهار الحياة ، و إلى بعث روح جديدة في حياة الشعب الفلسطيني الذي يسعى إلى التحدي و المقاومة و الصمود في وجه العدو لتشرق شمس الحرية و تحقيق الاستقلال الذي لطالما انتظره الفلسطينيون و دفعوا مقابل ذلك أرواحهم فداء للوطن و الحرية .

" إن غاية الفرد في هذا الوجود هي العمل على إثبات ذاته و العيش بكل عفوية و حرية ، إلا أن الملابسات القاهرة ، و الظروف المناقضة قد تزعزع فيه يقينه بمثالية ذاته أو قدراتها على إدراك حقيقتها ، فينسخ منها و يصبح غريبا عنها تماما ."[1]

على المرء أن يتسامى بروحه ، لتعزيز ثقته بنفسه و في غيره و هذا ما بحاجة الشاعر الفلسطيني خاصة ، فالاغتراب الذاتي يفقد الإنسان إنسانيته التي يعيشها بعفوية . جاء في قصيدة سيناريو الغربة .

شمس كابية منهارة

و نوارس جائعة

تتسلى في كازينو الأمواج الثرثارة .

تتسقط أنباء المدن القادمة السفن الراحلة

[1] سماح بن خروف ، الاغتراب في رواية كراف الخطابا ـ لعبد الله لحليح ـ ، د : محمد زرمان ، قسم اللغة و الأدب العربي ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، 2011 ، ص 47 .

و تحصى أنفاس الليل العائد

و تدون في خبث أسراره

مقهى الميناء ،

ثلاثة بحاره [1] .

الشاعر سميح القاسم حاول من خلال شعره الدعوة إلى الثورة ضد العدو الإسرائيلي ذلك عن طريق الرمزية ، و اعتبر الأمل بالنصر هو المسلك الوحيد للفلسطينيين ، في أوقات كان كله أمل و حياة و ذلك في رؤيته التفاؤلية و التي من خلالها حاول صراع الموت و تحديه بقصائده .

و في رؤية أخرى تشاؤمية كان خاضعًا للاغتراب و الانهزام الروحي ، حيث فقد روح الأمل روح التفاؤل و المقاومة و ذلك بزعزعة الاغتراب لنفسيته الحزينة المتعبة من مصاعب الحياة و أهمها الحرب شعره جسد بصورة جلية جدلية الاغتراب و الموت ، الاغتراب الذي يحمل صورة تشاؤمية جراء الواقع المرير الذي تعيشه فلسطين ، فهو يعبر عن المعاناة و يعبر عن الصراع الخالد بين الموت و الحياة ، إذ انه مزج بين معاناته و معاناة شعبه .

أما الموت حاول تحديها و ذلك بان يمنح أمته و شعبه الأمل و الفرح بالتفاؤل كما حاول البحث عن أفق الخلاص من واقعه المزري ، فشعبه بحاجة إلى دورة بعث من جديد ، بحاجة إلى حياة جديدة يعشها كلها أمل و فرح و استقرار .

[1] سميح القاسم ،الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 2 ، ص 343 .

المبحث الثاني : الرؤيا الشعرية للحياة

المطلب الأول : جدلية الحلم و الواقع :

الحلم هو سلسلة من التخيلات أثناء النوم ، نلجأ إليها لتحقيق رغباتنا و مكبوتاتنا التي لم تتحقق بعد ، نحاول جاهدين تحقيقها في الحلم .

الأحلام التي لا تتحقق في الواقع نحاول تحقيقها ، فالحلم لغة ذاتية إلى أقصى الحدود ، الحلم باطني له لغة تعبيرية قاصرة على نقله إلى الواقع ، يلعب دورًا مهمًا في نفسية الإنسان ، الحياة بدون أحلام .

هناك صفة إيقاعية في كل حياة الإنسان ، وهي صفة جربتها في حياتي الخاصة ، و يصدر تعاقب اللحظات و المراحل الزمنية كما يحياها الإنسان عن عدم قدرته على احتواء الحياة بتمامها و البقاء على ذرى الإلهام . وقد عرفت مراحل الإلهام العظيم كادت تصل إلى حد النشوة ، و لكنني عرفت أيضا عهودًا من الغباء و ركود العقل و القلب عندما تخبو شعلة الإبداع و أشعر بأنني محروم من القوة الروحية [1].

في حياتنا محطات لا تفهمها نقف عندها فقط لتأملها و الاستمتاع بها لفترة ثم نمضي في قطار الحياة التي أرهقتنا بهمومها وتعبها . نحاول الوصول إلى أبعد الحدود من السعادة التي لم نكن نملكها طوال الوقت فهي تشعرنا بوجودنا في الحياة للحظات فقط و سرعان ما تختفي ، لنبدأ بعد ذلك الغوص في أحلامنا و أوهامنا التي نادرًا ما قد تتحقق .

نحلم ، ثم نحلم ، ثم نحلم كلها للهروب من الواقع ، الواقع الذي فرض علينا ، بكل معانيه و بكل الصفات التي يحملها ، من خوف و ألم و حزن و قهر و تسلط ... كلها نابعة من المجتمع .

[1] نيكولاس برديائف ، الحلم والواقع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ت : فؤاد كامل ، د ط ، الإسكندرية ، مصر ، 1984 ، ص 87 .

ندور في حلقة مفرغة من آمالنا في احتواء الحياة و جعل منها بلسمًا للفؤاد ، ذلك لإبقاء أنفسنا سعداء .

هذا ما نجده واضحًا وجليا في شعر سميح القاسم ، ذالك من خلال الواقع الأليم الذي يعيشه مع أبناء بلده، من تشرد وضياع وحرب أبت أن تنتهي.

عانى الشعب الفلسطيني كثيرا ، من جراء الاحتلال الصهيوني الذي سخر كل ما يملك من أموال لاحتلال فلسطين ، رغم أنه جبان ليس له صلة لا بالقوة ولا بالشجاعة ، عكس الشعب الفلسطيني، الذي يملك الشجاعة والبسالة وروح الفداء في سبيل الوطن ، لانتزاع الحرية ولطلوع فجر أمل جديد بالحياة .

فسميح القاسم حاول أن يزرع في شعبه الأمل في الحياة ، من خلال الصمود والمقاومة ، والتحدي والحلم بغد جديد مشرق ، يعيد لهم كرامتهم وهيبتهم رغم الواقع المؤلم الذي يعيشونه، إذ يقول :" **بعد لقاء مع الأطفال الفلسطينيين اللاجئين و الأطفال الجرحى من مدرسة بحر البقر ، كان لقاؤنا في بوتسدام ، و هناك تقاسمنا الدموع و الحلم** ... "[1] .

كان دائم الحرص على رفع معنويات شعبه و دفعه إلى الحلم و أمل الانتصار و الفرح رغم الواقع السيء الذي يعيشونه .

قد دفع بهم إلى قدرة السير بالحياة في أرض مزروعة بالألغام ، لا القدم تتعب و لا الإرادة تتزعزع حاول بكل ما لديه إلى الالتزام بقضية وطنه في كل المحافل الدولية و طرحها بشكل يعبر عنها فعلا من شعر المقاومة ، غنى للحرية و الحب على وهم أن كل شيء سيكون بخير و تعود فلسطين

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية للشاعر سميح القاسم ، دار السعاد الصباح ، ج 1 ، الصفاة ، الكويت ، 1993 ، ص 30 .

إلى أبنائها المشردين و المغتربين جسديًا و روحيًا ، لتحتضنهم و تحميهم من العدو الذي أراد بها سوءًا و كرهًا و بطشًا . هذا يتضح جليا في قصيدة حيث صار الموت عادة التي تجسد لنا جدلية الحلم و الواقع :

اضرب بعصاي السحرية

في غرف التحقيق المفتوحة للناس جميعا

لجميع الناس من كل الأجناس

وتردّد بنادقهم .. هم ..

ويكون جواب واحد :

ماذا نفعل غير القبض على الأسرار

في أعماق الصدر لنختصر الأعمار ؟

ها نصلح نافورة الماء

في ميدان ينتظر طقوس التدشين ؟

هل نصلح شبابه راعٍ

و مرشات لزهور الساحات

أو أرجوحة طفل أو عكازة شيخ ؟ [1]

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 2 ، ص 23 .

سميح القاسم كونه شاعرا كان عليه الالتزام بقضية شعبه ، ذلك بإيصال الصوت الفلسطيني إلى الخارج ، من هموم اجتماعية و سياسية و مواقفهم الوطنية ، و الوقوف بحزم لمواجهة الواقع المفروض عليهم .

قد ينذر الشاعر ذاته في سبيل ما التزم به فهو يقوم على الفكرة التي أراد الالتزام بها والمضي عليها فهنا يتحدى الواقع بالصمود أمام الاحتلال الإسرائيلي ، و الاستمرار في الحلم ذلك بالإيمان بأن هناك أمل و حياة تنتظر فبعد العسر يسر ، وبعد الظلمة يطلع الفجر ، الفجر الذي ينير قلوبهم و حياتهم و يعيد إليهم بسمتهم التي لم يعرفوها منذ ولادتهم و الإصرار على المقاومة و التحدي .

تعد قصيدة حيث صار الموت عادة من أطول القصائد التي كتبها سميح القاسم لما تحمله من أمال و أحلام للاطلاع على واقع جديد ، باهر يعيد للشعب الفلسطيني بسمته .

في لغتي تتبادل وديان و جبال

وجهات النظر عن الطقس القادم

في لغتي تسأل البيارة و تفكر أحواض و كروم

بشؤون أغانٍ و مواسم

لكن .. ما عدت في لغتي

أخبار الصحف السيارة !

أحفظ عن غيب وطني

أحفظ أغنية منسية

و خرائط ضاعت .. و هوية

ضاعت .. و حكايات شعبية

من ذا يحفظه مثلي [1]

يحاول سميح القاسم جاهدا في الكشف عن الواقع ، و محاولة تغييره ، بما يتطابق و مع الخير و الحق و العدل ، ذلك عن طريق قلمه الذي يكتب كلماته ، الكلمات التي تؤثر في الناس فالالتزام هنا يقف عند التنظير و القول كما أنه يسعى لتحقيق مبادئ نشأ عليها الشعب الفلسطيني .

سميح مطالب بمسؤولية التعبير عن آلام و آمال و نضال شعبه ، و تحريضه على الأمل و الحلم الذي سيثمر من خلال الصبر و التقوى و عدم اليأس أو التشاؤم لأنه لابد لشمس الحرية من الإشراق و أن صوت فلسطين سيصل إلى العالم بأجمع فهو في مقدمة الذين يوصلون هذا الصوت لتكمل الأجيال القادمة المشوار في طريق الحلم و الأمل وصنع البهجة و الفرحة على وجوه الفلسطينيين .

جدلية الحلم و الواقع التي جسدها سميح القاسم في شعره ، فهو يحمل فيها رؤية تفاؤلية رغم الواقع له أمل في الحياة ، فقد تحدى الحزن والهزيمة ، حتى و لو انه يموت ألف مرة ، إذ أنه لم يكن مجرد شاعر يقول أشعارًا للافتخار بها أمام الجمهور ، يعتبر سميح القاسم شاعرًا ملتزمًا ، التزم بقضايا وطنه و ظل صامدًا مقاومًا مدافعًا عن حقه و عن حق شعبه في التراب الفلسطيني .

حاول سميح جاهدًا أن يدفع الطفل الفلسطيني و الشعب الفلسطيني إلى الحلم ، رغم ما يعشه من معاناة و ألم و حسرة بسبب الظروف التي أبت أن تتركه يعيش في سلام و اطمئنان .

رغم الواقع السيء الذي لا يحسد عليه الشعب الفلسطيني الذي يعاني جميع مآسي الحياة من تشرد ضياع ، حزن ، الم ، قهر ، خوف ، ظلم ، غربة ... كلها تعيش داخل الإنسان الفلسطيني و يعايشها بشكل يومي و باستمرار ، متلاصقة معه و متلازمة ، تلازم اجبر عليه بالظلم ، لم يجد

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 2 ، ص 27 ـ 28 .

من يوصل صوته إلى الخارج وتبليغ العالم عن معاناته و قهره ، و السواد الحالك الذي يعش فيه إلا من خلال أقلام شعراء بلده ، من أمثال سميح القاسم و محمود درويش و توفيق زياد وغيرهم الذين يشعرون بنفس المأساة و يعايشون نفس الواقع المؤلم والمحزن .

المطلب الثاني : جدلية الكتابة و الحياة :

الكتابة هي من أهم ما اخترعه الإنسان في الوجود بفضلها كانت هناك حضارات وهناك تواصل بين الشعوب و الأمم بحيث قطعت مشوارا طويلا و تعددت أشكالها .

إذ تعد الكتابة الأداة الفعالة التي من خلالها تكونت لنا حضارات لها عوالمها و لها فنونها و لها تقاليد و عادات و كانت الخط الرابط بين الأجيال و الشعوب لمعرفة ماضيهم و حاضرهم و مستقبلهم " **فالكتابة هي نقل الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية** " [1] .

فهي مستودع لما يسجله التاريخ من معارف و أحداث و تجارب و مختلف العلوم ليستفاد منها الأجيال القادمة في حياتهم اليومية و الاعتماد عليها في مشوارهم الحياتي .

" الكتابة حفظت لنا محاسن و مساوئ الأفراد و الجماعات و الأمم الماضية و لذلك أفادت الأجيال المتأخرة من محاسن المتقدمين و تجنب مساوئهم ، و الأمة التي لا ماضي لها فليس لها مستقبل ، و الكتابة هي التي خلدت الأعمال و الأشخاص و المواقف و جعلتها مشاعل و معالم هداية " [2] .

ذلك بتطور المعرفة الإنسانية ، أصبحت الكتابة باعتبارها عملا إبداعيا هادفا إلى غاية صائبة تريد أن تعطي بعدا ثقافيا حضاريًا جميلا يعتمد عليها في المستقبل و تكون حاضرة في ذاكرة البشر .

فهي تحل أهمية كبيرة في حاضر الناس و مستقبلهم . نظرا لدورها الفاعل و المؤثر في الحياة ، و العمل ، و الدراسة ، و في تنوير الآخرين ، بما ينفع المجتمعات الإنسانية و يجعلها أكثر تعاونا و انسجاما و تفاهما ، بدل دفعها إلى مزيد من التنافر و التناحر [3] .

[1] أحمد الزمر ، فن الكتابة و بناء النص قراءة في الأسس المعرفية و التجليات الإبداعية ، مجلة دراسات يمنية ، دت ، العدد 80 ، ص 56 .
[2] المرجع نفسه ، ص 58 .
[3] عبد اللطيف الصوفي ، فن الكتابة أنواعها ـ مهاراتها ـ أصول تعليمها ، ص 17 .

لا حياة بدون وجود الكتابة فهي التي تروح عن النفس و تعبر عن ما يختلجها و من خلالها يمكن التعبير عن ما هو داخلي .

هذا ما نجده أدى الشعراء الذين لم يجدوا في الحياة سبيلا إلا الكتابة للتعبير عن آلامهم و معاناتهم إذ نجد الشاعر سميح القاسم الذي جعل من الكتابة متنفسا و خلاصا لروحه التي تعاني جراء الاحتلال الصهيوني الغاصب فقد شكل مساحة خاصة في الساحة العربية ذلك بنضاله شعرا و نثرا و سياسة لمواجهة الأعداء وجها لوجه دون الهروب الأبدي من الأرض ، الأرض التي جسدت أشعاره فعلا ، بحيث أنه اعتبر رمزا للمقاومة و التحدي و الصمود ، بصورة الشاعر المقاوم الذي يعيش وسط ذئاب متوحشين ، رغم ذلك ظل واقفا شامخا من خلال شعره ، جاء في قصيدة خطاب في سوق البطالة .

ربما أفقد . ما شئت . معاشي

ربما أعرض للبيع ثيابي و فراشي

ربما أعمل حجارا .. و عتالا .. و كناس شوارع ..

ربما أبحث في روث المواشي ، عن حبوب

ربما أخمد .. عريانا .. و جائع

يا عدو الشمس .. لكن .. لن أساوم !! ..

و إلى أخر نبض في عروقي .. سأقاوم !! ..

ربما تسلبني آخر شبر من ترابي

ربما تطعم للسجن شبابي

ربما تسطو على ميراث جدي

من أثاث ... و أوان .. و خراب ..

ربما تحرق أشعاري و كتبي

ربما تطعم لحمي للكلاب [1] .

من هذه القصيدة حاول سميح القاسم تحدي العدو و نضاله من أجل التحرر و استرجاع السيادة الوطنية ذلك من خلال تمسكه بأرضه و هويته العربية و الفلسطينية خاصة ، ارتبط اسمه برفضه الخروج عن أرضه . " **فهو شاعر مكثر يتناول في شعره الكفاح و معاناة الشعب الفلسطيني سجن عدّة مرات في سجون الاحتلال الإسرائيلي ، و فرضت عليه الإقامة الجبرية ، و الاعتقال المنزلي ، طرد من عمله عدّة مرات بسبب نشاطه الشعري و السياسي فقد صاحب مراحل النضال الفلسطيني و عاش و تألم ليخرج أشعاره** " [2] .

قصائده كانت جواز المرور إلى قلوب الناس منذ لحظة ولادة أشعاره التي كانت المهد للمقاومة الفلسطينية و التي من خلالها شغل الوطن العربي بهذه القضية ، التي كان لها صدى كبير وبقوة شديدة وصارت تحفظ ، فهي مرتبطة و ملتزمة بالأزمة السياسية لوطنه .

يعد سميح القاسم حلقة الوصل بين الفلسطينيين النازحين تحت الاحتلال و في البلدان العربية المشتتين و الشعوب العربية كانت مطّلعة و متابعة لأشعاره ، حاول الجهاد من أجل حفر مجرى جديد في شرايين الحركة الشعرية الفلسطينية .

إذا فالكتابة هي المتنفس الوحيد الذي رأى منها سميح القاسم متنفسا للألم و الوجع الذي يختلج صدره و لابد من التعبير عليه بدل الكبت ، و ليعرف العالم معاناة الشعب الفلسطيني و

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص 275 .

[2] صالح علي صقر عابد ، الإيقاع في شعر سميح القاسم دراسة أسلوبية ، د : عبد الله احمد خليل إسماعيل ، قسم اللغة العربية ، جامعة الأزهر غزة ، فلسطين ، 2011 ـ 2012 ، ص 4 ـ 5

الجرائم التي كانت ترتكب في حقه ظلما و قهرا و غصبا . و هذا ما يتضح لنا من خلال قصيدة ليد ظلت تقاوم .

بركة دكناء في قلبي

و في وجهي سحابة

ونجيح ساخن

يصرخ في وحشه غابة

وعلى قارعة الدرب و عاءات نحاس

أيقظت بضع رصاصات

وألقت في جفون الأخوة قتلى و النعاس

و على روض المواشي

بقع حمر

و في الدوار تعديد مأتم [1] .

ففي هذي القصيدة يشتكي الشاعر وجعه ، و ألمه و ذلك من خلال قلمه و الكتابة ، فهو يحاول التعبير عن المشكلات و القضايا التي يعاني منها الشعب الفلسطيني و يحاول إيجاد حلول لها وكانت النزعة الوطنية و القومية دائما مجسدة ، فهو يعبر دائما عن انتمائه لفلسطين .

شعره محفز محرض على المقاومة و الاستشهاد لكسر العزلة و انتزاع الحرية ، لتشرق شمس الحق و يطلع فجر الأمل ليبعث روح التفاؤل و الحياة . إذ جاء في قصيدة أعلنها .

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص281 .

مادامت لي : نفسي !

أعلنها في وجه الأعداء ! ..

أعلنها .. حرب شعراء

باسم الأحرار الشرفاء

عمالًا ..طلابًا .. شعراءً ..

أعلنها .. و ليشبع من خبز العار

الجوف الجبناء .. و أعداء الشمس

مازالت لي .. نفسي ..

و ستبقى لي نفسي !

وستبقى كلماتي .. خبزا و سلاحا في أيدي الثوار !! [1]

فالشاعر جعل من الكتابة سلاحًا للدفاع عن أرضه و شرفه من خلال الكفاح ذلك بحب الوطن و حب الحياة ، نثر في جميع الملتقيات و الندوات صرخته المتألمة ،كما نثر رسائل عشقه و صدى غضبه و اشتباكاته مع العدو الصهيوني ذلك بربط قوله مع عمله ، جاعلا من الكلمة سلاحًا قويًا له بعد قوي ، فشعره يحمس الثوار على الاستمرار و الاجتهاد و الاستشهاد في سبيل الوطن و عدم الانهزام مهما كان الثمن ، و بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة .

جدلية الكتابة و الحياة تتجسد في قصائد سميح القاسم ذلك من خلال أن الكتابة هي المتنفس للروح لما تحتويه من ألم و قهر و خوف و معاناة جراء الاحتلال الصهيوني و اغتصابه لأرض فلسطين .

[1] سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، ص 291 .

الشاعر من خلال الكتابة التي جاءت من روح متعبة مرهقة يائسة بائسة ، من روح عاشت في ظلام حالك يكتبها ، حاول ضبط كتابته على طريق الفدائيين و المقاومين للهب الكفاح ذلك لإعطاء الحياة لروحه و لشعبه بأن شمس الحرية ستشرق و أن النصر قريب ، مضى الكثير و بقى إلا القليل .

جعل من كتاباته جزءًا من أدبيات الثوار الفلسطينية ، كما تحدث عن الأساطير و المعارك الأسطورية و كيف كانت ناجحة ، كما اعتمد في شعره على الرمز لإعطاء الحياة و الاقتداء به كيف كان ذلك الرمز المفتاح للحرية و النصر في وقته ، حاول الرمز إلى فلسطين بعدة رموز و استحضر شخصيات تاريخية بطولية كان لها بعد و مكانة قوية مثل عنترة بن شداد ، المعتصم بالله و غيرهم ... ذلك لإعطاء الشعب الفلسطيني الحياة من جديد و بعث روح الأمل و التفاؤل بغد مشرق و زاهر بأن بعد كل ظلام حالك فجر منير بالحرية و الانتصار ، ذلك بالصبر و الإيمان بالله و الإرادة بانتزاع الحرية و استرجاع الوطن .

إذن فثنائية الكتابة و الحياة كانتا متلازمتين في شعر سميح القاسم لبناء مستقبل زاهر يجب الاعتماد على الماضي المظلم و جعله القاعدة الأساسية لنيل الحرية و ما كان ذلك ليتحقق إلا بالكتابة التي كانت تصل إلى المغتربين الفلسطنين في جميع أنحاء العالم .

نستنتج من خلال هذا الفصل أن سميح القاسم بالفعل كان لسان شعبه ، و لأنه حاول إيصال صوت شعبه إلى العالم من خلال التعبير أن الفلسطينيين الذين يعيشون تحت ظلم و قهر الكيان الصهيوني ، سميح إختار قلمه في الدفاع عن وطنه ، و اعتبره سلاحًا ضد العدو ، العدو الذي حاول إخراسه بكل الطرق إلا أنه لم يجد ذلك نفعا ، و واصل سميح مشواره ولم يخفه ذلك لتبقى القضية الفلسطينية مفتوحة تحتاج إلى دعم معنوي و مادي و روحي ...

خاتمة

بعد هذه المحطات العلمية التي وقفت عندها من خلال دراستي والمعنونة بـ : "جدلية الموت و الحياة في شعر سميح القاسم " وبعد هذه المغامرة الشيقة مع الشعر العربي المعاصر عامة وبصحبة سميح القاسم و شعره خاصة ، خلصت إلى مجموعة من النتائج أهمها :

- ✓ إنّ سميح القاسم من الشعراء العرب الذين التزموا بقضايا شعبهم ، و كان اللسان الناطق لشعب فلسطين المضطهد ، ولديه إستراتيجية لإعادة الوطن و استرجاع الثقة .
- ✓ إنّ سميح القاسم حاول في دواوينه دراسة الذات من منظور فردي ذلك من خلال رصد المواجهات التي تعيشها هذه الذات الفردية مع الموت ، فتطرق إلى جماليات الموت من ناحيتين ، الأولى تمجيد الموت كونه عرسا للشهيد ، بالإضافة إلى كونها وسيلة لثائرين فلسطينيين من اجل استرجاع الوطن و الهوية و طرد الكيان الصهيوني ، و الثاني وضع رؤية فردية مسندة بمرجعية ثقافية من خلال تذليل الموت و الإنقاص من قيمتها .
- ✓ تناول سميح القاسم في جلّ أعماله الشعرية موضوع الموت من خلال تمجيدها ، ذلك بالاستشهاد الذي اعتبره خطوة أساسية لاسترجاع الوطن و العيش بكرامة .
- ✓ ابتعد سميح القاسم عن التأملات الفلسفية للموت ، حيث رصد الواقع بلحظات تاريخية عاشها الشعب الفلسطيني ، هذا الأخير الذي لا يهاب الموت و لا يرضخه قمع مستعمر ، أي أن نفسية سميح القاسم كانت تعيش العزلة و الألم .
- ✓ نلاحظ جميع دواوين سميح القاسم كانت مدعومة برموز تاريخية و دينية ذات أصول عربية و يونانية ، إذ الهدف منها تدمير الكيان الصهيوني ، الذي حاول طمس الهوية الفلسطينية من خلال محاولة نشر اليهودية (تهويد المكان) .
- ✓ نلاحظ أيضا أنّ الرؤيا الشعرية لجدلية الموت و الحياة التي تطرق فيها إلى ثنائيتي الوجود و العدم كونها مرتبطة بموت الإنسان و العبثية ، و التي ترتبط أيضا بعدم وجود معنى للحياة و الذي يترتب عليه القلق .

- ✓ كما تطرق الشاعر إلى جدلية الاغتراب و الموت حيث حاول الحث على الانتفاضة ضد العدو الإسرائيلي ، إذ يعتبر أنّ الأمل بالنصر هو المعبر الوحيد للفلسطينيين ، كذلك من خلال رؤيته التفاؤلية . أما الرؤية التشاؤمية فانهزامه أمام الاغتراب الروحي افقده الآمل و روح المقاومة .
- ✓ أما الرؤيا الشعرية للحياة فكانت جدلية الحلم و الواقع حاضرة فيها من خلال تحدي الظروف ، التي أبت أنْ تتركه يعيش في سلام و راحة ، هذه الظروف ارتبطت بالواقع المؤلم الذي يعاني منه أبناء الشعب الفلسطيني من مأساة و حسرة و حزن .
- ✓ أيضا نلحظ أنّ جدلية الكتابة و الحياة كانت المتنفس لروح الشاعر من خلال ما احتوته من الم و قهر و حزن و معاناة ، زرعها الاحتلال داخله . بالإضافة إلى ما عاناه من تهميش وظلم .
- ✓ في الأخير يمكن قول أنّ سميح القاسم قد انتصر على الموت انتصارا جماليا بما أبدعه من قصائد و دواوين جمع فيها كل المدارس النقدية على فرادتها و أصالتها ، عسى أنْ يقرب هذا البحث من المبارزة الجمالية الطويلة التي خاضها الشاعر مع عدوه اللدود الذي كان قد سلبه هشاشة الجسد ، فإنه لم يقو على أنْ يسلبه مكانته الرمزية التي شيدتها أعماله الشعرية و النثرية و التي سيستمر امتدادها في الزمن ما استمر اهتمام الناس بالشعر .
- ✓ وتعد هذه أهم مرحلتين مر بهما شعره ، الموت من المنظور الذاتي ، و الموت من المنظور الجماعي ، بالنظر إلى طبيعة لغته الشعرية و ما عرفته من توسع في مكوناتها و انفتاحها على أفاق التجريب الجمالي ، الذي جعل من سميح القاسم واحدًا من أنقى الأصوات الشعرية العربية و أكثرها تأصيلا للخطاب الشعري المعاصر .

ملحق

حياة سميح القاسم :

1 ـ نشأته :

يعد سميح القاسم واحد من أبرز شعراء فلسطين، و قد ولد لعائلة درزية فلسطينية في مدينة الزرقاء الأردنية عام 1929 .

سجن سميح القاسم أكثر من مرة كما وضع رهن الإقامة الجبرية بسبب أشعاره و مواقفه السياسية كما أنه شاعر مكثر يتناول في شعره الكفاح و المعاناة الفلسطينية ، و ما أن بلغ الثلاثين حتى كان قد نشر ست مجموعات شعرية حازت على شهرة واسعة في العالم العربي.

2 ـ تعليمه :

تعلم في مدارس الرامة و الناصرية و علّم في إحدى المدارس ثم إنصرف بعدها إلى نشاطه السياسي في الحزب الشيوعي قبل أن يترك الحزب و يتفرغ لعمله الأدبي.

3 ـ كتاباته :

كتب سميح القاسم أيضا عددا من الروايات ، و من بين اهتماماته إنشاء مسرح فلسطين يحمل رسالة فنية و ثقافية عالية كما يحمل في الوقت نفسه رسالة سياسية قادرة على التأثير في الرأي العام العالمي فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية .

4 ـ مؤلفاته:

أ ـ أعماله الشعرية:

* مواكب الشمس 1958 .
* أغاني الدروب 1964 .
* دمي على كتفي 1968.
* دخان البراكين 1968 .
* سقوط الأقنعة 1969 .
* قرآن الموت و الياسمين1971 .

* الموت الكبير 1972 .

* و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم 1971.

* ديوان الحماسة 1981 .

* أحبك كما يشتهى الموت 1980 .

* الجانب المعتم من التفاحة 1981.

* أخذة الأميرة يبوس 1990 .

* لا أستأذن أحدّا 1988 .

ب ـ السربيات :

* ارم 1965.

* إسكندرون في رحلة الخارج و رحلة الداخل 1970 .

* مراثي سميح القاسم 1973.

* ثالث أكسيد الكربون 1976 .

* الصحراء 1984.

* إلهي إلهي لماذا قتلتني 1974 .

* خذلتني الصحاري 1998.

*كلمة الفقيد في مهرجان تأبينه 2000.

ج ـ أعماله المسرحية :

* قرقاش 1970.

* المغتصبة و مسرحيات أخرى 1978.

د ـ الحكايات :

* إلى الجحيم أيها الليلك 1977.

*الصورة الأخيرة في الألبوم 1980.

ن ـ أعمال أخري :

* عن الموقف و الفن/ نثرا 1980 .

* من فمك أدينك/ نثرا 1974.

*كولاج/ تعبيرات 1983 .

* رماد الوردة، دخان الأغنية / نثرا 1990.

* حسرة الزلزال / نثرا 2000 .

هـ ـ الأبحاث :

* مطالع من أنطولوجي الشعر الفلسطيني في ألف عام / بحث و توثيق 1990.

و ـ الرسائل :

* الرسائل مع محمود درويش 1989 . [1]

5 ـ وفاته :

توفي الشاعر الفلسطيني سميح القاسم يوم 19 أوت 2014 ، بعد صراع مع المرض، وكان ابنه تحدث قبل فترة عن وضع والده الصحي، وأكد حينها أن والده نزيل في مستشفى بمدينة صفد في منطقة الجليل بالشمال الإسرائيلي، خضع في معظمها للعلاج من احتدام سرطان الكبد عليه، وهو المرض الذي أصابه قبل 3 سنوات .[2]

[1] ينظر الرابط :

http://www.drmosad.com/index209.htm

2016 - 05 - 01 الساعة : 10 : 28

[2] ينظر الرابط :

http://www.alarabiya.net/ar/culture-and-art/2014/08/19

2016 - 05 - 01 الساعة : 11 : 11

قائمة المصادر

و المراجع

* القرآن الكريم .

المصادر :

1. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب، ط1 بيروت ، لبنان ، 1990 ، مادة : (ن . ص . ص) .
2. سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 1 ، دار العودة ، ط 1 ، بيروت ، لبنان . 2004
3. سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 2 ، دار العودة ، ط 1 ، بيروت ، لبنان . 2004
4. سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 3 ، دار العودة ، ط 1 ، بيروت ، لبنان . 2004
5. سميح القاسم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 4 ، دار العودة ، ط 1 ، بيروت ، لبنان . 2004
6. سميح القاسم ، الأعمال الشعرية للشاعر سميح القاسم ، دار السعاد الصباح ، ج 1 الصفاة ، الكويت ، 1993 .
7. سميح القاسم ، مراثي سميح القاسم ، دار الأسوار ، د ط ، عكا ، 1973 .

المراجع :

أ ـ العربية :

8. أحمد فلاق عروات ، فكرة الموت في التراث العربي ، دار هومة ، (دط) ، الجزائر . 2005

9. خالد الجبرا ، رزان ابراهيم ، شعرية الفقد (جدل الحياة و الموت في شعر الخنساء) دار جرير ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، 2012 .

10. طه باقر ، ملحمة كلكامش و قصص أخرى عن كلكامش و الطوفان ، دار المدى دمشق ، سوريا ،(دت) .

11. عبد السلام المساوي ، جماليات الموت في شعر محمود درويش ، دار الساقي ، ط 1 بيروت ، لبنان ، 2009 .

12. عبد العظيم إبراهيم محمد المعطي ، الحداثة ... سرطان العصر أو ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث ، مكتبة الوهبة ، ط 1 ، القاهرة ، مصر ، 1994 .

13. عبد اللطيف الصوفي ، فن الكتابة أنواعها ـ مهاراتها ـ أصول تعليمها ، دار الفكر ط 2 دمشق ، سوريا ، 2009

14. عبد الناصر هلال ، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر ، مركز الحضارة العربية ط 1 ، القاهرة ، مصر ، 2005 .

15. عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر (قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية) ، دار الفكر العربي ط 3 ، 1978 .

16. محمد بنيس ، الشعر العربي المعاصر بنياته و ابدالاته ج 3 ، دار توبقال ، (د ط) الجزائر 2001 .

17. محمد صابر عبيد ، سيميائية الموت (تأويل الرؤية الشعرية قراءة في تجربة محمد القيسي) دار نينوي ، (دط) ، دمشق ، سوريا ، 2010 .

18. محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركزي الثقافي العربي ط 1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1985 .

19. مصطفى عبد اللطيف جيا ووك ، الحياة و الموت في الشعر الجاهلي ، دار الصفاء ط1 عمان ، الاردن ، 2012 .

ب ـ الاجنبية :

20. جاك شورون، الموت في الفكر الغربي، ت: كامل يوسف حسين ، عالم المعرفة، (دط) 1984 .

21. سيجموند فرويد ، الحب و الحرب و الحضارة و الموت ، ت : عبد المنعم الخفي ، دار الرشاد ، (د ط) ، القاهرة ، مصر ، (دت) .

22. سيجموند فرويد ، الحب و الحرب و الحضارة و الموت ، ت : عبد المنعم الخفي ، دار الرشاد ، (د ط) ، القاهرة ، مصر ، (دت) .

23. نيكولاس برديائف ، الحلم والواقع ، ت: فؤاد كامل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دط) الإسكندرية ، مصر ، 1984 .

المجلات و الموسوعات :

24. مجلة دراسات يمنية ، دت ، العدد 80 .

25. مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية ، جامعة البترا ، عمان ، الأردن المجلد 23 ،2015 ، العدد1.

26. مجلة جامعة الأزهر ، سلسلة العلوم الإنسانية ، غزة ، فلسطين ، 2009 ، المجلد 11 ، العدد 2 .

27. مجلة الكرمل ، الاتحاد العام للكتاب و الصحفيين الفلسطنين ، بيروت ، لبنان 1982 ، العدد 6 .

28. مجلة الأثر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، (دت) ، العدد 10.

29. مجلة قراءات مخبر وحدة التكوين و البحث في نظريات القراءة و مناهجها ، بسكرة الجزائر ، 2012 ، عدد 4 .

30. مجلة موسوعة أبحاث و دراسات في الأدب الفلسطيني الحديث ، مجمع قاسمي للغة العربية ، ط1 ، أم الفحم ، 2011 .

الرسائل الجامعية :

31. باسل محمد علي بزراوي ، سميح القاسم دراسة نقدية في قصائده المحذوفة د : عادل الاسطة ،قسم اللغة العربية و آدابها ،جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ،فلسطين 2008 .

32. حنان احمد خليل الجمل ، الموت في الشعر العباسي ، د : إبراهيم الخواجة ، قسم اللغة العربية ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، 2003 .

33. حياة هروال ، دلائيلية الموت في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر فترة التحولات 1988 ـ 2000 ، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي القديم ، جميلة قيسمون جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2008 ـ 2009 .

34. سماح بن خروف ، الاغتراب في رواية كراف الخطابا ـ لعبد الله لحليح ـ ، د : محمد زرمان قسم اللغة و الأدب العربي ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، 2011 .

35. صالح علي صقر عابد ، الإيقاع في شعر سميح القاسم دراسة أسلوبية ، د : عبد الله احمد خليل إسماعيل ، قسم اللغة العربية ، جامعة الأزهر غزة ، فلسطين ، 2011 ـ 2012

36. علي يوسف فرح مدخلي ، ذكر الحياة و الموت في شعر طرفة بن العبد ، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي ، عصام فاروق إمام ، جامعة المدينة العالمية ماليزيا ، 2012 .

المواقع الالكترونية :

37 . جميلة طلياوي ، الشاعر الفلسطيني سميح القاسم يتغرب في دهشة الموت .

www.alarabiya.net 2016 . 05 . 01

38. سنان أحمد حقّي ، تأملات كونيّة..في الوجود والعدم .

www.wikipedia.org 2016. 04 ـ 25

39. عبد السلام المساوي ، الموت بين الأسطورة و الفلسفة .

www.alhayat.com 2016 . 04 . 17

40 . مسعد زياد ، الشاعر سميح القاسم .

www.drmosad.com 2016 . 05 .01

41. وديع العبيدي ، الموت و الاغتراب في قصيدة بن يونس ماجن ـ حياة داخل الموت

www.jamaliya.com 2016 . 04 . 15

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ - ب - ج

مدخل : المسار الفلسفي للموت 11

الفصل الأول : جماليات الموت في شعر سميح القاسم

1 - الموت من المنظور الجماعي 28

أ - فلسطين و الموت 38

ب - الموت الأسمى (الاستشهاد) 46

2 - الموت المنظور الذاتي 52

أ - معجم الموت 61

ب - التناص 68

الفصل الثاني : الرؤيا الشعرية لجدلية الموت و الحياة

1 - الرؤيا الشعرية للموت 79

أ - جدلية الوجود و العدم 79

ب - جدلية الاغتراب و الموت 83

2 - الرؤيا الشعرية للحياة 91

أ - جدلية الحلم و الواقع 91

ب - جدلية الكتابة و الحياة 97

الخاتمة 104

ملحق 108

قائمة المصادر و المراجع 112

فهرست الموضوعات 118